هيجاء بلا توقيت

هيجاء بلا توقيت

مجموعة مؤلفين

تأليف : زينب مطر

التدقيق اللغوي: شيرين أكرم

التنسيق الداخلي وتصميم الغلاف: عذراء البياتي

الجنس الأدبي: رواية

الطبعة الأولى : 2024

دار الشباب للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناشر ودار الشباب للطبع والنشر والتوزيع

ان دار الشباب غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما يعبر الكاتب عن آراء مؤلفه.

COPYRIGHT © 2023Dar Alshabab ALL RIGHTS RESERVED

الرقم الدولي (ISBN)

9789922889467

هيجاء بلا توقيت

تأليف :زينب مطر

نبذة تعريفية:

تروي بشكل سردي الأحداث التي حصلت في فترة اختلافية لاحتلال بعض المدن العراقية، وتوقف الوقت ومروره في حياة مريم وصديقاتها بعد أن ذهبوا في طريقِ البحث عن حلمهم ليجدوا مالم يتوقعوا ويدخلوا في صراعاتٍ مُتعاقبة مع وحوش بشكلٍ بشري، من أجل العيش والحفاظ على أرواحهم فقط .

النوع الأدبي: رواية اللغة: العربية الموضوع: الأمل، الفقد، الأحلام، الاحتلال، الاستشهاد، الصداقة، المشاعر، الوطن، جرائم الإرهاب .

المؤلف: زينب مطر

الإهداء

إلى أولئك المضحين

إلى الشهيد صاحب الساتر الأمامي الذي ولد مهيأ للقتال حتى تبكي عليهِ والدته بعد أن وضعت قطعة من القماش على يدهِ ،فوجدتها غارقة بالدماءِ، ليصبح فداء الأرض المسلوبة من بين أفرادها،

وإلى المظلوم مخفي القصة

إلى الفتاة التي قتلت نفسها في أضحية الكرامة من أجل حماية شرفها ، إلى تلك التي قدمت حياتها في مائدةٍ طويلة مُعدة للأكل من أجل حياة اخ سلب حقها في الدراسةِ،

إلى كل من لا زالَ يبتسم عند رؤية شجاعته في صورة، لتنثر الأزهار عليكم حباً وليعم السلام على أرواحكم أين ما كنتم، ستترك الحروب في كلِ مرةٍ سيلًا من الأرامل، واليتامى، والصور الضاحكة، والخيال الواسع، ستتوقف لبرهة من الوقت، لكنها لن تنتهي.

لحظة مُفزعه، عيون مفتوحة في ليلٍ مُظلم، هاجَ كل شيء في باطنِ عقلي ليفزعني، أسيرُ باتجاه والدتي وهي تشعل الشموع أمام عدة صور وضعتها في البابِ، لتضع العلم العراقي معهم، لم أدقق في ملامحهم جيدًا، أنها كانت لأشخاص شجعان وأقوياء، هذا ما تكلمت بهِ أمي، أخذتُ احد الشموع، لأدخل إلى غرفتي وأغلق الباب من جديد، وأنا أترقب الشمعة متى تنطفئ، أيحدثُ هذا الآن، أم ستُضيئ إلى حد الصباح؟ بدأت بالذوبان وهي تحترق ببطيء، رغم ذلك تذوق شعور الاستمتاع، كيف يمكنها ذلك وهي تعلم أنها سترمى بعد أن أضاءت المنزل، تبقى أخر شعلة منها لتكب في سلةِ المهملات؟ فيها شعور إن هذا هو مصيرها، يتم اشعالها مرة واحدة، أفضل من أن تموت كل يوم، دخلت أمي بحزن في ملابسها وعيونها، عودي إلى نومك، تلك الكوابيس ستنتهي، أطفئت الشمعة بنفخة واحدة، غلقت الباب، قلتُ مرحبًا لكوابيسي المستمرة. هيجاء بلا توقيت.

تغيرت كل الأشياء و الأحداث مُنذُ بداية حزيران القاتلة، فزعتُ من نومي في تلك الليلة المظلمة حيث اشتبكت جميع الكوابيس المخيفة في عقلي اللاوعي في الساعةِ الواحدة منتصف الليل، انتابني شعور الخوف والرعب المستمر ذلك الشعور الذي يلازمني مُنذُ الطفولة المليئة بالحزن .

نهضتُ لأرتشف قطرات من المياه كانت بالقرب من رأسي ، تعودتُ على تلك الكوابيس في كلِ ليلة ولسنوات لا تحصى.

صوتُ صراخٍ عالي يأتي من غرفة أمي وأبي ركضتُ مسرعة واقدامي لا تسعفني للوصول، رُبما تحول ذلك الكابوس إلى واقعٍ تشابكني خطوتين وأسقطُ ثانية، فتحتُ البابَ بهدوءٍ يشبه رفرفة الجفن أمي فزعت من نومها، اقتربتُ منها بهدوءٍ مخيف، ماذا حدث لكِ، تجيبني وعلى نبرتها صوت الحزن المنكسر،

- أيمكن لكِ ان تنفذي لي طلب؟
- نعم أعطيكِ أي شيء، فقط قولي طلبك
- الطريق صعب وطويل، هذهِ المرة لم يكن كالمعتاد أبدًا،
- أشعرُ أن هناك ثغرة تريدُ أن تطيح بكم، ظلام الحلم لا أريدهُ أن يظهر
- أمي، أنتِ أكثر من يعرف كم عانيتُ حتى أصل إلى حلمي هذا الذي أعيشهُ الآن،

- أستمر الوضع منذُ قبولي إلى لحظة وقوفي معك، ما الذي تغير فجأة؟
- لا تعيشي بعتمة الكوابيس، أنها خزائن الواقع المرير التي تظهر في العقلِ الباطن، لا تجد مكان تهرب إليهِ غيره، فتجدك في رغدٍ لتيقظكِ منه،

أمي وعلى نبرتها الخوف والشهقات من كابوسٍ لم تحدثني عنهُ.

- تقدمي بخطواتك، وأنظري إلى عيونك وضعي ثقتكِ في الله، لكن أعلمي أني غير مطمئنة،

عدتُ إلى غرفتي مع أخوتي الصغار وضعتُ رأسي على فراشي في الساعةِ الثانية من الليل، حيث حرارة الأرض تنبتُ في عظامي، يأتينا الهواء من ذلك الشباك الذي يطلُ على جهةِ الحديقة وخضارها الباعث تلك النسمات الباردة إلى غرفتنا لم أستطع أن أغمض عيني للحظات، هول أمي لا زال أمام ناظري، كنتُ أول مرة أراها بهذا الحال منذُ آخر سنوات ما الذي رأتهُ في منامها لم تكف عن عقلي الأسئلة، حتى دقت ساعة المنبه كانت ساعة الفجر وصوت الآذان يعلى في المساجدِ.

نهضتُ من الفراش اتجهتُ لكي اتوضأ لمحتُ الضوء في غرفةِ والدي لا زال منير لم اركز في ذلك، كالعادة استيقظوا للصلاة، كانت والدتي دائمًا

تيقظني مع والدي وعندما أخرج في هواء الفجر البارد اسمعها وهي تناجي الله،وتطلبُ منهُ حمايتنا وتوفيقنا

مرت أعوام، وأنا لا زلتُ أسمعها تكرر هذا الدعاء وابقى في حيرةٍ مع أفكاري لماذا لم تطلب لنفسها شيء يوماً، لكنها أخبرتني الفجر من الليلة الماضية

الأم لا تقول جائعة أمام أولادها، لكي لا يناموا جائعين، معها فهي تغذيهم من روحها عند الحمل فكيف في الحياة! وضعتُ سجادتي وأكملتُ صلاتي، اللجوء إلى رب الخلق في كلِ وقتٍ وكل بداية رحلة يكون قوتك المحصنة حتى تزيد روحانية إيمانك، لابد أن يوجد لكل أحد فينا جزء يكتسب منهُ قوة الطاقة التي يتمكن من خلالها الاستمرار وهذا يمكن أن يتكون من أي شيء، حتى تصل من خلال قلادة صغيرة اعتدت أن تضعها في رقبتك، من عندها ستفيض الأمور الجميلة في طريقك،

أتى وقت الذهابِ مُسرعًا بطريقةٍ خافتة يريدُ أن يأخذني منهُ، وجدتُ والدتي تقوم بتعبئة كل ما أحتاجهُ في السكنِ فأنا أخبرتهم سأبقى لشهر هذهِ المرة فالامتحانات قربت.

قمتُ باحتضانهم سمعتُ صوت السيارة، وذهبتُ والقيت نظرة لهم وهم ينتظراني في ذلك الباب في ساعةِ الصباح، رُبما تنازلتُ لدموعي هذهِ

المرة لتسقط واقعةً على خدي الجاف بعد أن امتصَ الحر جميع رطوبتـهِ في ليلةِ البارحة وكانت نسمات الهواء التي تختلف بتوقيت وصـولها لنـا هـي الوحيدة من جففت تلك البشرة .

"أن تخلق لنفسك القوة عظمة ونعمة، لكن أمـام والـديك لا تـزال ذلـك الطفل الذي يمسك بيديهم في كلِ خطوة"

لنعيد النظر إلى الخلـف قلـيلاً أنـتَ أثنـاء دخولـك إلى المدرسـة تمسـك بأصـابع والـدك أو والـدتك تحـاول الـدخول إلى الصـف لكنـك لا تسـتطيع فتنهار ويسقط سيلًا من الدموع على تلك الملابس الجديدة، بقي رقم المقـاس معلقًا في ذلك القميص حاولت والدتك انتزاعهُ لكنـك تخـاف أن يـؤثر علـى الملابس وشكلها المهندم اللامع مع ذلك تقـوم بأتلافهـا بـدموعك المتسـاقطة عليها .

ظنًا أن عند افلات يديك منهم ستبقى وحيدًا إلى الأبد ولم يخيـل علـى بالك فكـرة أنـه درسًـا واحـدًا أو حتـى نصـف يـومٍ وسـتعود يرحبـون بـك بالأحضانِ الجاهزة والمليئة بالدفيء والحب.

أما الآن عدتُ أتغيـب عـنهم لشـهور وأنـا متألمـة سـأجدهم ينتظرونـي كذلك الانتظار والضـحكة المزوجـة بـالحزن تخـيم علـى وجهـي لأسـتدير وأنظر أمامي ،

ركبتُ السيارة وأنا لم أودع أخوتي الصغار حزنتُ قليلًا لكني تذكرتُ الوقت يمضي سريعًا سأعود إليهم مرةً أخرى.

تحركت عجلات السيارة لأجد الخوف يدخل قلبي مع كل عجلة تلف للتوجه، عدة افكار تصارعت حتى تزور عقلي المشتت، ثواني غيرت من كلامي وحولت ملامح التأكيد إلى قلقٍ وخوف، كيف حدث كل ذلك؟

سارت فينا السيارة وعبرنا محافظة ذي قار،أوشكنا أن نصل نحنِ ثلاث طالبات معًا، منهن إيناس

ذات الواحد والعشرون عام، جميلة جداً لكنها بريئة كطفل في فطرتهِ الأولية، ضحكتها تثيرُ الحيرة، ممزوجة بالحزن، هكذا عرفتها من خلال الطريق فقط، أمسكت كتابها وتقرأ في صفحاتهِ كانت رواية "الخيميائي"للكاتب باولو كويلو

لم أفهم المغزى من قراءتها هذهِ الرواية، لا تذكر غير قصص رمزية ورحلة للبحث عن الحلم، أظنُ أنها تستمتع مع رواية كهذهِ في طريقٍ بعيد، والأخرى زهراء من وضعت السماعة على أذنيها لا أعرف إلى ماذا تستمع لكنها رُبما تنصت إلى شيء يخفف حمل الطريق الذي خلقه العقل بأنه سيتعبنا، وهي تتأمل في صورةِ عائلتها كانت في قلادة وضعتها على

رقبتها تراكمت الأفكار بداخلي حول لماذا تفعل ذلك؟ وهي تمسك هاتف يمكن أن ترى صورهم فيه.

صمتت عيوني لبرهة ولم تتحرك رموشي وأنا اتأملها وهي تتأمل القلادة، خطر على بالي اسئلة لم تحصى وصلت إلى طرف اللسان المنعقد وتراجعت إلى الحنجرة ولم تخرج. لأعود واتأمل الشوارع الفارغة لا يمليها غير الأتربة التي تلوث الأجواء رغم ذلك نحن نعشق ذلك التراب الذي يحل مع حرارة حزيران المليئة بما لم يحصى من المشاعر.

رُبما نحنُ ولدنا ونسمع عن حب الوطن حتى أصبح فطريًا لا أحد يستطيع مقاومته، أحياناً نعيشُ التعاسة الواقعية حتى نقوم بلعنِ مكان عيشنا، لكن عندما يقوم غريب بفعل ذلك نقف متكاتفين في وجههِ رُبما تلك اللعنة خرجت من العقل ولم يكن القلب راضياً، ترضعنا أمهاتنا مع الحليب حُبًا ترابيًا لا يمكن أن تتخطاه أو نساوم عليه.

خطر على عقلي وافكاري اللامتناهية شيء،ما حدث في سنة قتل الأخوة وقتلت الناس بغير رحمة من مثيري الفتن، لكن رغم ذلك عُدنا من جديد كيد واحدة وحاربنا بكل ما نملكه وانتصرنا وبقينا إلى الآن نجاهد الحروب والفتن وآثام من يريد تفريقنا،

أصبح سارقنا يعمل قاضيا لنا في ذاتِ اللحظة، آه لماذا ذكرتُ كل ذلك الآن؛ لأعيد نفسي إلى الواقع وأفكر في دراستي وأهلي الذين تركتهم وأذهبُ فقط لأجل تحقيق ذلك الحلم الذي يجعلهم فخورين بي ذات مرة، وأنا طفلة أعطتني أمي كتابًا كي اقرأه مشيتُ خطوات،سمعتُ أبي يخبرها

- أنتِ لا تعرفين القراءة كيف عرفتي أنها تحب هذا الكتاب؟

أخبرتهُ:

- والديك أيضاً لا يعرفون التعليم لكنهم جعلوك تدرس أنت وأخوتك، فقط كي لا تكونوا في أصغرِ المهمات عاجزين، مثل حالي الآن، عندما احتاج إلى شيء تجلس معي للقراءة لي .
- وأنا ركزتُ على ما تحب ورأيتها دائمًا تفتح هذا الكتاب، فهم حاربوا كل الناس ومن يقول إلى أين تتركون أبنتكم تذهب، الحياة ليست أمان والبنات لا احد يعطيهم الثقة الكاملة لأنهن يحطمنها عند أول الفرص .

لماذا لاتزال المرأة وصمة عار في كلِ المجتمعات؟ عند وقوفها في الطريقِ وحدها، عند ذهابها إلى السوق، عند خروجها إلى الجامعة، ستبقى تطلق عليها مسميات لا يستطيع العقل أن يصدقها لكنها أفكارهم التي بنيت من قلوبهم المتوحشة تجاه المرأة.

أحيانًا امرأة تشبهها شكلًا لكنها تعاديها روحًا لا زلنا نقلق ونفكر ونحتمي بأنفسنا في كلِ خطواتنا حتى لا ينعتنا جاهل الفكر بما يطلقه لسانه الذي ملئ قبحًا، فلا يتهم نساء لم يعرفهن وكان نظيف القلب واللسان إنما العكس،

ماذا حل بي اليوم عادت كل الذكريات لتحاوطني، ألقيتُ النظر إلى صديقاتي لا زلن متعمقات في عالمهن الخاص

إلى الآن نحنُ في محافظة الديوانية، الطريق طويل سنرسل إلى مذكرة عقلي خفايا عميقة جديدة، أغوصُ بحزمة الأفكار المتشابكة التي لا تنتهي حتى تنتهي بنا المسافات البعيدة، أخبرني السائق إننا نحتاج إلى زمنٍ يصل بنا إلى عشرِ ساعات، هذا إن لم يكن هناك من يعيق هذهِ الساعات المحسوبة

فالموصول تبعد عنا، ونحن في البصرة مسافة طويلة جداً، لكن ذلك لا يهم ما زلنا تحت سماء واحدة وأرض ترابها واحد، ذلك يعني نستطيع أن نصل إلى كلِ الأجزاء ما دامت الإرادة تقوى في ثنايا أرواحنا.

أظنُ أنني قبل أسبوع سمعتُ وأنا أمر من جانب التلفاز ابتداء اندلاع حربًا أهلية في مناطقنا الغربية وبدأت الأحداث تتصاعد لكني لم أتعمق في

ذلك جداً، لا يهم ما يصلني إلى حلمي كان الوحيد حافزي، أنظار والدي تحاوطني من كل الجهات وفي كلِ المخيلات

خاصةً ونحن لم تمر أيام في عراقنا دون أن نسمع خبرًا يحزن قلوبنا ويكسرنا ويبقى لهُ أثر في أرواحنا المجروحة لسنين مضت، لذلك لم يعد الخبر مهم لي، أصبح عادة وروتين متكرر سأنام ساعة لعلنا نصل أخيرًا،

جاءت فتاة صغيرة تشبه الأضواء الساطعة في غابةٍ مظلمة

أعطتني زهرة كأنها هي لكن مصغرة، ضحكتها تملىء الأجواء الكئيبة سرورًا وبهجة، أخذتُ قلادة كانت في يدي أضعها فأنا تعودتُ على ذلك أجعلها تشبه أسواره قيدت بيدي، ثم انطلقتُ مسرعة جداً لا تستطيع التوقف حتى وصلتُ إلى مكان وتوقفت، سرتُ باتجاهها بدأت بالاقتراب، لأرى النار مشتعلة في كلِ الأجواء ودوي الانفجار أحاط بكل جهة لتسقط القلادة بجانبي أمسكتها ورأيت دماء مغطية تلك الدائرة السوداء والمظلمة دخلت فيها وصل الدخان إلى رئتي بدأتُ بالاختناق .

أنا لا أستطيع التحمل حركتُ قدمي بشيء لم أرى ما هو أنزلتُ رأسي إلى الأرض ، نادتني صديقتي إيناس:

- مريم، وصلنا إلى المطعم استيقظي
- حسنًا، إنه كان حلمًا سيئ أتمنى أن لا يتكرر.

رغم أنه كابوس سيئ إلا أن وجه هذه الطفلة لا يختفي من رأسي حتى عند استيقاظي، بسمتها تخلق شعور الأمان لكل من فقده، قلةً نرى من يصنع أيامنا بابتسامة منهُ فقط، كأنه تربع على عرشِ القلوب بذلك الوجه المخلوق بروحٍ نقية، تجعل منا أناس وإن كنا لا نملك الإنسانية العظيمة، تلك البسمة حتى وإن كانت مترددة على وجهك سيلاحظها غيرك لتعيد بهِ محبة كادت أن تنتهي رُبما،

أظنني لن أتمكن من نسيانها وأبعادها عن مخيلتي الواسعة الفكرية، رغم عدم معرفتي لها لكنها ستخلد في ذاكرتي، أحيت بنفسي منظر عدد الجثث التي نراها في أخبارنا اليومية، الإعلام كان هدفه التركيز على تلك الواجهة اليومية دون ملاحظة تلك البسمات، ذلك الجمال، جميعها أخفيت خلف الغبار والشباك المظلل لا يمكن أحد رؤيته، نرى الموت فقط نرى الجثث، الضحايا، القرابين، الدماء، القتل، الجرائم، لكن جمالنا معكوس لا نستطيع رؤيته قد اصابنا عمى القلوب المؤلم، ركنت السيارة على الجانب، كان مطعمٌ قديم على الطريق قبل دخولنا إلى المحافظة التالية فأنا لا أعرف الطرق، ولا المدن، ولا حتى الشوارع، قبل قليل كدت أقرأ لوحة كانت معلقة مكتوبٌ بها نرحب بكم لكنني لم أكمل اسم المحافظة وأعرف أين كنا ما يهمني هي النهاية أين نصل،

الأجواء تبدو طبيعية جداً، الناس مجتمعين على أن يحصلوا على وجباتهم

لعلها تسد جوع الطريق الطويل الذي يقودهم إلى وجهتم، لكل منا وجهه مختلفة في هذهِ الحياة لكننا نسير في نفسِ الطريق وتكون النهاية سعيدة لشخص ومؤلمة للأخر.

حتى في الموت لم نتشابه وإن كان موتًا واحدًا، مشاعرنا وتخبطاتنا تكون مختلفة لكنها جميعها تسمى واحدة، رُبما أنا اليوم زارني الشوق إلى عائلتي وملئ عقلي رموزًا من الألغاز والذكريات وآخر عاش شعورًا بالحب و الأمان وهذا يسمى لطف الله في شعورنا،

خلقنا كبشر منذُ الآف السنين وتميزنا عن باقي الكائنات، فقط لأننا ملكنا عقلًا وجميعنا نشعر وضميرنا حي، لنتوقف هنا ليس جميع البشر هم أناسًا،

الإنسانية العظيمة جوهر والجواهر لا تقع إلا بيد منقذيها من الخراب وتصنع الأشكال،

تعامل بإنسانيتك حتى الحد الذي يصل أن يختم على قلبك وأنتَ مقدمهُ قربانًا مقرب على هيئةِ الإنسانية. قد تصبح أخطاء لكنهُ خطأ تعشقهُ وتتمنى بقائه إلا أنها بقت في قلبي،

عندما بكيتُ على الفتاة التي رأيتها في حلمي تيقنت عندها أني لا زلتُ اتملكها وهي تحيطني إنسانيتنا أحيانًا نكادُ أن نفقدها ورُبما هي تفقدنا فهي ليست بحاجة لنا نحن من نحتاجها.

في اللحظةِ التي أشعر أني قد أخسرها أدعو الله وأنا على يقينٍ أنه سيرتب كل شيء لأجل ذلك الدعاء ويجعلها ثابتة في روحي، في تشابكِ الأوقات والمتغيرات قد تتأثر بتصدعات الحياة فتحتاج إلى ترميم وهو ذلك الدعاء المتخفي في قلبك.

وضعتُ قدمي على ذلك التراب في الشارعِ السريع والهواء الطلق لكنه حزين

أصبح الجو ترابي جداً، وهذا معروف في أرضنا في أيامِ الصيف الحارة الأمر معتاد جداً، لا شيء جديد يعتبر.

قبل عدة سنوات عندما كنتُ في الصفِ الثاني الإبتدائي أتذكر كان الجو يشبه هذا الجو الآن رغم اختلاف الأماكن والشهور.

ذهبتُ مُمسكة بتلك الحقيبة الصغيرة، وأنا أركضُ باتجاه المدرسة لا زلتُ صغيرة لم أعلم ما ينتظرني،

قبل أن أصل إلى المدرسة جاءت عاصفة غيرت لون السماء من الأزرق إلى الرمادي بثواني قليلة،

أسرعتُ إلى داخلِ المدرسة لأحتمي؛ مُعتقدةً أنها ستكون ظلي، لكن قبل اقترابي من الزوايا بدأت اطراف الحائط بالسقوط فهي أصبحت متهالكة من رطوبة المطر من الأسبوع الماضي بقيتُ متمسكة بما يحوي جدرانها من قوى كي تحمينا، بدأت عندي مشاعر الخوف من تلك العواصف في ذلك الوقت وتلك الثواني.

لكن ما حدث لي، الآن رغم وقوفي في مكانٍ غريب وتحت نفس تلك العاصفة لم اتحرك ساكنًا ولم اشعر بالخوف جميعها مناعة مكتسبة نتيجة تكرار الشيء وعادةً يكون أصعب، هناك عواصف داخلية ولم يهمني الخارج، فالزمن ومتغيراتهُ المُهيبة يقتل مخاوفك ويضعفها في أحدِ المحطات التي هجرت بعد موت سكان المنطقة لندخل ونجلس مع الناس تفردنا بطاولتنا المنفردة على جهةِ الشارع السريع حيث لا توجد منازل والصحاري تحيط المنطقة بين كيلومترات متعددة لتجد محطة أخرى تستريح فيها، الصحراء قاسية جداً بتعاملها مع البشر فهي عندما تعشق أحد تقوده إلى وجهته وعندما تضجر منهُ تجعله يتيه في المنتصفِ برمالها المتحركة والباعثة على القلق في قلوب الضائعين بداخلها، من ينقطع بهِ الطريق يجلس مع حبات الرمل يسرد قصصه فهي حفظت جميع الحكايات وانتظرت راويها ليأتي، وهو أما أن يصل أو يقتل أو يبقى مختبئ فيها،

رن هاتفي للحظات وأنطفئ كانت أمي تتصل، عاودتُ الأتصال، أوضحت الغصة في صوتها واضحة للعلن ولكل من يسمع نطق حروفها، كادت على هدوءٍ ورجفة قوية جداً يتم الكلام، كعادتي أنا لا زلتُ قوية، لا أستطيع أن أسقط الدموع ولا يمكنني الاستمرار على ذلك النمط، الضعف أمام والدتك هو قوة.

فهي سيفك وهي يديك في الحياة، أنت تملك النظر فقط،

لطالما هي كانت مرسالي إلى العالم عندما كنتُ جنينًا في ذلك الرحم الحي، أتصلت في روحها أتصالًا تامًا ولم تشكو لك عندما أصبحت تعي الحياة، لا زلت مقصرًا في حقوقها وهي صامته لم تكلمك أو تطالبك بشيء، أصبحت أهدافها هي أولادها وحاضرهم ومستقبلهم ، أما نحن نهتم لأنفسنا ويستمر العمر على تلك الرتابة المزعجة إلى أن يصل يوم الموت ويحين موعده، وتأتي الساعة التي وعدنا بها، إذ يحاوط الندم بنا، ونتأمل في الذكريات ونموت نحن الأحياء.

ماذا لو كنا أكثر حنانًا؟

ماذا لو سألناها عن احتياجها؟

ماذا لو حجبنا عنها أشعة الشمس الحارقة يوماً؟

أعطتنا عمرها كاملاً ولم نعطيها يوماً من عمرنا ولا حتى ساعة للاستماع لأحاديثها الطويلة.

نشعرُ بالملل والضجر عندما تعيد حكاية قصة قصيرة حدثتنا عنها لأكثر من مرة، ولم نرجع خطوة للتفكير لماذا تعيدها هل بات النسيان يتضح على عمرها؟ ولا زلنا مخطئين في كلِ شيء لأنه حقوقها علينا لا يمكن أن نعطيها جزءًا بسيطًا منها،

ودينها الذي لا تعتبره دين لا يمكن وفائه لو قدمنا كل ما نملكه هي لا تحتاج إلى الامتلاك، تريد فقط أن ترى سعادتنا، قلب الام لا يمكن أن يملك آخر مثلها، فهو يتسع لكل الأوطان.

كل يوم نحدثها عن الذي نريده وما نريده ، تركز في طعامنا، شرابنا، لباسنا..

وفي المقابل نحن لم نلاحظ متى ارتدت هذهِ الملابس، هل هي جديدة أم قديمة، أنفقت لنا حتى لا تشتري الجديد.

كم نحنُ انانيون معها! أرادت أمي أخباري بشيء لكن العاصفة بدأت بالازدياد، سمعتُ صوتها يتقطع قليلًا ويعود مرةً أخرى، لكن كل شيء اذكره أنها أخبرتني :

أخوتي من هنا هواجس شوقهم لي بدأ، المشاعر تكاثرت علي كأنها تريد أن تغرقني الآن في وسطِ هذهِ الصحراء، أظنني وحدي من يراها صحراء، لعدم وجود البيوت متشابكة مع بعضها مثلما يوجد في مناطقنا هناك.

سمعتُ أنين من صوت أمي حتى انطفئ الهاتف، بدأت الناس بالذهول فجاءةً وذهبوا جميعهم إلى سيارتهم بسرعة، ركضنا نحن مثلهم، كل فهمي ذلك كان بسبب العاصفة لنصل إلى ما نريد قبل أن يبدأ الظلام يحل علينا، لكن أتضح كل ذلك كذبة أنا بنيتها في عقلي وصنعت منها فكرة جميلة يسودها الحزن وما أصعب أن تعيش في افكارك ويتضح أنه وهم خلقهُ عقلك دون سيطرتك.

أفكار الإنسان أما تنقذه أو تقتله أنت مكلف أين تضع أفكارك وأين تذهب بنفسك.

كانت السيارات تصل إلى العشرات وهي تسير في الصحراء وتحيط بجميع الناس ويوقفوهم، يخرج منها أناس يشبهون الشياطين عند تخيلهم في الحكاياتِ التي تحكى لنا، وحوش في شكلٍ بشري يكون طبقهم الأساسي للتقديم هو الدم من الأبرياء!

كانت تكبيرات متكررة لا تنقطع من لسانهم وعبارات في راياتهم السوداء تقول نحن مسلمين؛ لكي يستطيعوا أن يبعثوا للجميع رسالات معينة وهي إن الإسلام دين القتل، نسوا أنه دين الحب والسلام لكل الأوطان، لم يتدخل دين الإسلام في أي دين آخر، حاول رسل السلام إلى كافة العالم لكي يعلموا أنهم لن يقوموا بأذية احد بمختلف الأديان، عندما يقعوا في أي وجهه صعبة سيرفعون رؤوسهم إلى السماء، بحثنا عن الرب المجيب وهذا يجعلنا بفطرتنا نحن نعلم أن هناك من ينظر إلينا ويجعل كل الطرق ميسرة لنا،

رغم كثرة الأعداد المتضاربة التي تجعله محط لنشر رسالاتهم المبطنة بالقبح،

تقدموا خطوات كان من يعترض طريقهم يقومون بقتلهِ مباشرةً، مهما اختلفت الأديان يتوجهون في الأخير إلى الله بجميع الحالات،

لم أعلم من هم؟

لماذا يفعلون ذلك؟

أين النهاية؟

الصمت سادني ،

لا أعرف ماذا افعل؟

راودتني تخيلات وقصص بـلا نهايـة لم تتوقـف للحظـة، كـل لحظـة يتقدمون بخطواتهم تظهر المخيلة شيء عجيب لا يسعني تصـديقه، تـذهب بي إلى محطات بدون عودة،

كان سائقنا مهند يحاول الكـلام معهـم، اطلقـوا عليـه رصاصـة جعلتـه يستند في مكانه على الكرسي من دون حركة،

لمهند عائلة صغيرة تنتظره في المنزل ليس لديـه خيـار آخـر يجلـب لـهُ رزقه من هذهِ السيارة الآن هو ذهب ليخبر عائلته بذلك.

هل نحن سنبقى أحياء؟

أين طريقنا؟

اعتقد أنها أغلقت من كل الجوانب، تعالـت أصـواتنا نحـن الفتيـات، فلا نملك خيار آخر أظن الموت اقترب كثيراً منا ولا نستطيع جعله يتوقـف فحين يقترب منك شيء وأن تتخيل نهايتك وتضعها أمامـك يصـبح الواقـع أشبه بالرعب المسـتمر والقاتـل، جعلـوني اتخيـل لحظـاتي المميتـة خـلال ثواني تقطع من عمري الصغير، كل حركة تعيـد شـريط حيـاتي بالكامـل، حتى أنني تخيلتُ جنازتي والناس ترتدي الأسود وأنـا اقـف وحيـدة أنظـرُ إليهم هناك من يبتسم، وهناك من يبحث عن الطعام، وهنـاك مـن يبكـي، وهناك من لم يصدق موتي إلى الآن جميعها كانت أمام عيني، نظنُ جميعنـا

أن الأسود يمثل حزننا على من يرحل عنا لكن ذلك كان كي لا يتعرف الميت على وجوهنا.

قبل عامين من الوقت الحالي توفيت جدتي كانت قريبة جداً مني، لا أخفي أمراً في حياتي عليها أعلمها عن كل أفكاري وكل شيء يمر بي، لا يمكنني أن اصفها بكلمات لأني على يقين سأخطأ في اعطائها حقها الكامل، قامت بتعليمي في أمور عدة ومختلفة من الحياة كانت الحكم هي ابرزها وادركتها في كل أيامي وكل المواقف التي تحبطني، هي اكتسبت خبرتها من الحياة ومتاعبها الشيقة التي أخذت ملامح جمالها وخبأتها خلف تلك التجاعيد، عندما أذهبُ إليها وتضع رأسي في أحضانها الدافئة اشعرُ كأن حنان العالم جميعًا اجتمع عندها، تقول لي:

- حتى وأن تركتكِ تعلمي أن لا تتركي نفسك، كنت أكثر من تقرب إليها وأحببتها جداً، ربما كان ذلك السبب الذي جعلني عند وفاتها لم أستطع أن انزل قطرات من الدموع كان شيء منكسر بداخلي كيف اصفهُ للناس، يقولون وأستمع إليهم بأذني .

لماذا لم تبكي رغم أنها كانت أكثر من أحببت، هكذا هم الناس لا يهتمون بمن يحبون يشعرون في الراحة عند فقدانهم، كان هذا الكلام يتكرر في سمعي وأنا في حالة الصمت الدائم والمستمر، أصبحوا يحكمون على مشاعرنا من المظاهر، أن تعيش في صدمةٍ وقتية أمرٌ

صعب، تتخيل من فقدته لا زال معك وفي ذاكرتك حي هو الذي يقوم بإنعاش حياتك عندما تريد ايقافها، كنتُ أنظر إلى النجوم المضيئة في السماءِ وأنا أنام في حضنها في ساحةِ المنزل، أنا اليوم اقف وحدي وأنظرُ إلى السماء انتظر صوتًا يسمعني ويوقظني من هذا الحلم الذي لم يفهم منه شيء، تمنيتها أن تناديننني كعادتها وأنهض من فراشي لأركض إليها وأفطر معها من طعامها الذي تصنعه بكلِ حب وحنية، اقترب مني ذلك الملثم عيونه تشع منها طاقة شيطانية قوية تكسر كل الأرواح النقية وتقتلها، وأخبرنا بصوتٍ عالي:

- ترجلوا من العربة الآن.
- قوموا بجمع هواتفكم وضعوها أمامي.
- أبا عزام، أخرجهم وضعهم هنا بجانبنا،

بدأنا بالصراخِ بأصواتٍ عالية جداً نتأمل أن يسمعنا احد، تمنيتُ أن اعود إلى حضن جدتي في تلك اللحظات، لأحيا من جديد، أظن نحن دخلنا مدينة قتلت بالكامل من سكانها،

ما الذي أتى بنا إلى هنا؟ ماذا حصل؟ لا يمكن أن نسألهم! هل سنموت ونحن تحيطنا التساؤلات؟ عادت بي الذاكرة، نحن دخلنا إلى هذهِ المناطق من الجهة التي هي أصعب لنا.

لماذا أتينا من هذا الطريق؟ لماذا نختار الصعب دائمًا ولا نختار الأسهل؟ هل هم قطاع طرق؟ مع كل حركة تلمس قدماه الأرض الطاهرة، يحوم في ذهني سؤال جديد، كيف أتوا إلى هنا؟

كانت تلك العاصفة السوداء رسالة تحذيرية من الصحراء لنا، لكننا البشر لا نؤمن بتلك الرسائل، نوهم انفسنا بذلك الخيال، إلى أن تحولت إلى عاصفة حقيقية تأخذ أرواح الناس،

قتلوا من يريد التكلم معهم، وقتلوا من تكلم، وقتلوا حتى الصامت الذي لم ينطق، ملئ الدم أرجاء المكان، اختلطت مع تراب الأرض حتى أحتضنه الطين إلى داخله ليجف، كأنها كانت تنتظر تلك اللحظة لتأتي وتأخذ ابنائها لتعيدهم إليها، أنا تشتت فكري أعاد جميع ما بعقلي ليجلس أمامي طريحًا، أنتهى أمري، لأنطق الشهادة كما علمني أبي، ذات مرة أخبرني عندما يأتي لأحد لحظة الموت لينطق شهادته الأخيرة حتى يصل إلى خالقه بأمان،بقيت تلك الكلمات في لب عقلي حتى أتى وقتها لعلهم يسمحون لنا لكي ننطقها بأمان، أصوات اطلاق النيران كان يجعل الأرض تهتز، لم اعش ذلك الشعور منذُ لحظة فتح عيني على هذهِ الحياة، أي ألم وأي حنين وبمن تفكر جميعها تتشابك في محور لحظتك الحالية، ذات مرة رأيت جدي وهو على فراشِ الموت، لم أعرف معنى أن

تأتيك هذهِ الساعة وتبدأ الحياة بانتزاع روحك التي طالما تعلقت بهذهِ الدنيا، كان جدي يحب الحياة.

وفي ذات اللحظة احب أن يلتقي بخالقه في الحياةِ الأخرى، ترك له أثر الجميع يذكره .

في أحدِ المرات ذهبتُ إلى مكانٍ بعيد عن منطقتنا لأشتري بعض الأشياء مع أمي وأخي الصغير، كان أحد الأشخاص في المحل يحدثنا، عندما عرف جدي لم يترك لحظة واحدة حتى يثني في الكلامِ عليه، عرفتُ عندها أن الأثر الطيب الذي يتركه الميت لا يموت، نتمنى دائماً عندما تأتي أجيال أخرى غيرنا لهذهِ الأرض أن تكون اسمائنا موجودة ليعرفوها، نصبح أثرًا في حياةِ كل من يعرفنا، سنبقى ارواحاً نقية صمدنا على فطرتنا، فهنيئا لمن كسب ذلك من الدنيا لأنها دار استضافه وأنت ضيف وعلى جميعِ الضيوف المغادرة ذات يوم، اخرجنا جميعا ونحنُ نرتجف خوفًا، رمانا على الأرض اختلطت رمال الصحراء مع وجوهنا وملابسنا، أصبح جميع الرجال الذين كانوا متواجدين في المطعم قتلى كانت العبارة الصحيحة أصبحوا شهداء في لحظةٍ غير متوقعة، بات الموت أمراً محتم، رفعتُ رأسي، عن الأرض ودموعي مع الرمل أصبحت مالحة على الوجه، وهنا انهالت الذكرى علي، عواصف التفكير في عقلي قد تدمر كل الحدائق التي بنيت منذ أزمان في داخلي، حسنًا، عندما كنتُ في منزلي وتصبح

الساعة الثالثة ظهرًا، تنقطع الكهرباء كعادتها في العراق رغم التطور الذي وصلنا إليه اليوم إلا أنها لا زالت تطفئ في أوقاتِ الحرارة العالية جدًا، أحيانًا أنت بحاجة لها في وقتٍ عندما يكون لك مريض لا يتحمل حرارة الجو التي تصل في مدينتا البصرة أحيانًا ما يقارب خمسون درجة مئوية، تعودنا على تلك الحرارة العالية جداً، في دولٍ أخرى يصل الأمر إلى الأغماء الشديد، لكننا نتحملها أصبح الأمر طبيعي على الغالب، لكن الأطفال حديثي الولادة لا يتحملون ذلك، يمرضوا كثيراً وتمتلئ المستشفيات من حالات الأمراض، ذلك لا يعني أن الشتاء لا يوجد، أنما يكونون أكثر من ذلك، أقترب أحد لا يظهر منه غير عينيه المليئة بالحقد والكره، قال : من أين أنتم؟

- من أي محافظة قادمون ؟
- من البصرة .

كان يبتسم ويوضح على عينيه، كأنه انتصر انتصارًا كبيرًا كأنه نجح في غايتهِ المنتظرة، كانوا من جميع الجنسيات لغاتهم مختلفة وكثيرة أما بعضهم لغتهم العربية ليست جيدة، يتكلمون ببطء جداً لفهم ما نقول، وما يقولون أصحابهم، قتلوا جميع الرجال أما نحن الفتيات أخبر أحدهم:

- أبا عزام، قم بأخذهم إلى مقر الأمراء سنعرف كيف نقوم بتوصيلهن إلى أميرنا بعد أن يصل إلى نينوى اصابتنا رعشة

الخوف، قلق الصدمة، وذهول الأشكال، رعب الكلام، وبدأ العمر يمر بطريقة الخط المستقيم لتوقف الحياة، أخذو جميع ما نملك لم تتبقى سوى كرامتنا التي رفعتنا عاليًا، من املكوها لنا أهلنا الذين تركناهم في محطةٍ بعيدة، طلبتُ من الله في هذهِ اللحظة أن يخلق لي جناحين كي أعود إليهم، الله سمع دعائي، لكنه كان أمراً جنونيًا، أن أعود محملة بجناحي إليهم، فكانت الاستجابة خبأت في مكانٍ ما لغير وقتها وإلى الآن لم أعرف نحن في أي مكان، قاموا بوضعنا جميعًا أنا وصديقاتي في سيارةٍ تشبه السيارات التي تحمل الأشياء للمنازل القديمة، الآن تحولت لتحمل البشر، أنا مكتفة من يدي وعيوني ولم أسمع غير أصواتهم التي تتعالى بأبشع النبرات، كأن خلقت القباحة جميعها فيهم.

كانت توجد مخيلتي فقط والأصوات العالية لهم، أشكر الله، لم يضعوا شيء على فمنا، لا زلنا نتحدث مع بعض من غير الرؤية، الآن تحول الأمر إلى شيء مظلم كما كنت أوصف السماء وتغيراتها التي حدثت فجأةً،

في هذهِ اللحظة عاد كل شيء يحمل هويتي منذُ الصغر ليتربع في عقلي، صوت أمي، آخر دمعة، ضحكات أخوتي، غضب أبي، أنين جدتي عند المرض، جميعها جاءت لي كي تستوطنني وأنا بدون أمان ولا

وطن، كان تفكيري يحملهم معي، ماذا حدث لهم؟ هل جميع المحافظات حصل لها ذات الشيء؟ أي رعبٍ دخل في أرواحنا بدون انذار مسبق؟

حتى المطر يتهيأ ويرسل الغيوم، يجعلنا نستعد لتلك القطرات النقية التي تسقط من السماء إلينا.

نسيت ذلك خير، أما الشر لا يعطي صوت التنبيه ولا حتى يحذرنا، يدخل ليخرب كل شيء في أرواحنا ويذهب أو يبقى ذلك الذي لم نعرفه،

أخبرتني صديقتي الجالسة بالقرب، مني على جهةِ اليمين إيناس

أنها ستموت، لا تستطيع تحمل كل هذا،

- كيف سأعود إلى أهلي؟

بقيت تردد تلك الكلمات، لا يسعني الكلام للتخفيف فلا شيء يتوقف نحن في المجهول في الوقتِ الحالي، تخيل أن تضيع وتنغمس في المجهول بعد أن كانت لك ارضك وهويتك وعزتك، حتى دموعي لا يمكنها السقوط، أما هي جفت، أو كان أثر الربطة التي عليها أوقف الدموع من النزول، رغم اختلاط أنفاسهم بذلك الهواء، إلا أنه لا زال يرسل إلينا نسماته العذبة ترنم على وجوهنا كأنها رسالة حب تراب وسماء تلك الأرض،

ليخبرنا أنه يسمع أصوات نحيبنا، التي نطلقها لعل من يأتي لينقذنا، كانوا يضحكون بين بعضهم ربما أنهم سيطروا على كلِ الأراضي التي هنا، كانت صديقتي بقربي تصرخ بصوتٍ عالي، تحتاجُ إلى أمها .

كانت زهراء وحيدة في عائلتها مع أمها والدها أستشهد قبل أن ترآه في طفولتها، كذلك في أحد الحروب القديمة التي خاضها الجيش العراقي منذُ ذلك الوقت وزهراء صاحبة الابتسامة النقية وحيدة مع والدتها في بيتهم الصغير قامت أمها بتضحية كل شبابها لكي تجعلها تصل إلى حلمها ولكن الآن في أي محطة زهراء، ذلك لا يسعني أن اقول لها كلمات لمواساتها،

أحد المرات ذهبت لزيارتهم في منزلهم كان يبعد عنا بعض المترات، عائلتنا مترابطين مع بعضهم أمي كذلك تذهب لزيارة والدتها وتجلس معها دائماً، أم زهراء قالت لي أنها اليوم تعيش أسعد لحظاتها بعد قبول زهراء في كليةِ الصيدلة بعد أن تخلى عنها الجميع إلا أنها تمسكت بكل أحلامها، عند الحديث عن الأم واصرارها على وصول أولادها إلى شيء يستحقونه شيء لا يمكن أن يستوعبه العقل الواعي، كيف لبشر يملك حياة خاصة به أن يقوم بتضحية عمره كاملًا لشخصٍ غيره، متيقن أنه أما أن ينكر ذلك أو يكون باراً، لا اعتقد هناك من يفعلها غير الأم، ذلك ما فعلته أم زهراء ذات العمر الصغير، أمي دائماً تحدثني عن شجاعتها

وكيف واجهت هذا العالم والمجتمع الذي لا يقف مع امرأه وحيدة بدون رجل، الجميع يقوم بإلقاء اللوم عليها، عليك أن تتزوجي، عليك أن لا توقفي حياتك على هذِه الطفلة، وغيرها من الأحاديث المعتادة،

هي تعودت على الاعتماد على والدتها، لذلك قبل يوم من مجيئنا إلى هنا، أتت والدتها لي وأخبرتني أن أقف معها في كلِ لحظاتها فهي لا تملك شخصًا لتعيش لأجله في هذهِ الحياة، أما الآن أنا ماذا أفعل وأنا أسمع انين زهراء بقرب أذني، كانت مسؤولية تفوق طاقتي لم أعلم أنها بتلك الصعوبة، تلك الابتسامة المنبعثة من الطفولة والحنين إلى أيامِ الركض في ساحاتِ المدرسة جميعها عندما تهيأ الطلاب استعدادًا لرفع ذلك العلم الشامخ والذي يرفرف في أجواءِ السماء العالية،

يقف الجميع في سطرٍ واحد أجلالًا وحبًا لوطنه وأرضه واحترامًا إلى ذلك العلم، لم يكن مجرد قطعة قماش، كان محملًا بروحانية الأرض والأرواح التي تقف عليه، تتقدم أحد الطالبات لتلقي نشيد الوطن، عندما تنتهي تصمد الأقدام لدقيقة واحدة بعدها يذهب الجميع إلى صفوفهم، ليت تلك الأيام بقينا فيها ولم نصل إلى حالنا اليوم، تمنيتُ أن أرى ذلك العلم بألوانه الثلاثة مرفرفًا عاليًا في هذهِ السماء، بدلًا من تلك الرايات السوداء المظلمة وحامليها، لعل أن تكون قطع تحمل حب الوطن بديلًا عن لافتات محملة بكلمات البغض والحقد توضع على جميع السيارات ماذا لو كانت

سيارة الشرطة التي تلقي التحية علينا عند خروجنا من المدرسة ووجوههم المبتسمة مع الأطفال، في مكانِ هذه العربات القبيحة والمزرية بجميع الوانها وأشكالها،

- أين تتوقف السيارة؟
- إلى أين يذهبون بنا؟
- هل نستطيع الخروج من الحفرة التي وقعنا بها؟

الأسئلة لا تتوقف، جميعها أستمرت في عقلي الناطق بالأفكار من تلقاء نفسه، لا يمكنني أن أوقفه أو أحكمه، فلا شيء تحت سيطرة روحي الآن، القلب مندثر والدموع لم تنزل، والعقل يشعر بالتشتت، أستمرت السيارة في الانطلاق، لم أشعر بشيء غير الهواء الترابي ينتشر على وجهي بكامله، سمعتهم ينادون لأحد بينهم يسمى صلاح،

- صلاح عندما نصل قم بحجزهن في الحجرة القديمة.
- إذا قامت أي واحدة بينهم بالصراخ، أطلق النار عليها فوراً.

كنتُ أبكي بصوتي فقط وبداخل روحي، صلاح يشبه اسم أخي الصغير يبلغ من العمر الثامنة عشر سنة فهو الآن في السادس الإعدادي، لصلاح أحلام كثيرة وكبيرة، دائماً كان يحدثني عنهم، كان صديقي المقرب، تمنيتُ أن يكون الآن بجانبي كعادته، هذا شبيهه في الاسم فقط، لكن لم

يملك غيرته ولا حتى قوته، تحمل الكثير، كان مصاب بالسكري واستمراره هي جرع الأنسولين المعتادة، لم يجعل ذلك يأثر على دراسته واصراره في الاستمرار لعيش حياة كان يحلم بها منذُ الطفولة، ذات مرة جلسنا أنا وهو في حديقة منزلنا لنلعب مع أولاد الجيران عندما كنا أطفال، حيث الباب الحديدي بلونه الأزرق يعكس ضوء الشمس علينا، الأشجار المخضرة في كلِ مكان ترسل الأوكسجين الصحي ليدخل الرئتين بدون مزيج الهواء المليء بالأتربة،

قال صلاح:

- ستكونين معي في كلِ وقت إلى أن نكبر،

اخبرتهُ:

- سيجد كل واحد منا طريقهُ في الحياة.

بدأ المزاح يحل على حديثنا، لأخبره سيتزوج في أحدِ الأيام وزوجته لا تحب أن تراني، أجابني وصوت ضحكته لا يذهب من أذني،

- سأقوم بطلاقها، لنضحك جميعنا،

آه كانت ذكريات جميلة، لماذا جعل اسمه يشبه اسم أخي ليعيد بي الزمن إليهم، أنا لا أعرف مصيري الآن، ولا يمكنني أن أجعل الذكريات تقيدني، علي أن أعرف اللحظة الآنية أنا في مأزق كبير ومسؤولية لدي

صديقات ولدي عائلة تنتظرني، بعد أن قاموا بأخذ هواتفنا جميعها، قطعوا علينا كل السبل للحياة، إذا توقفنا كيف سيكون مصيرنا.

- هل سنكون مثل ما يظهر في شاشةِ التلفاز، عن فتيات تم اختطافهم وقتلهم؟
- هل هؤلاء هم منظمة؟
- أين الناس في هذهِ الأماكن؟
- من الذي يكون معنا ومن ضدنا؟

لا أعرف كيف تتوقف الأسئلة عندي ولمن سوف أسألها، وكيف ينتهي بنا الزمن، وما الذي حدث، يشبه الزمن الآن

تصويرك لفلم في هوليود كانوا يقومون، بإظهار تلك الفئة التي تدمر المناطق وتسيطر على كلِ مكان وتقوم بقتال الجيش، أردتُ في ذلك الوقت أن تنفك العقدة عن عيوني، لأرى عبارة في السماء تظهر.

"بعد مرور سنتين"

وأنظر ماذا حصل بعدها مثلما يكون في الأفلام، لكن أنه الواقع، لا يوجد مخرج ليقول:

"أقطع"

في وسطِ تأزم الأحداث، ولا نحن مشاهدين ليظهر في منتصفِ اللحظة الحاسمة اعلان على شاشة التلفاز يقطع علينا كل الخوف،

في سنةٍ مضت، من أيام الشتاء الباردة والجميلة، حيث نجلس جميعنا محاطين "بالصوبة" الصغيرة أنا وأخوتي الصغار، مع أمي وأبي، لنقوم بمتابعة أحد المسلسلات التاريخية في جلسةٍ يعمها الهدوء و الاطمئنان المنغمس بمشاعر الحب، لنأكل "اللبلبي " نحن كعراقيين تعودنا منذُ الصغر عندما يحين الشتاء ونجلس هذهِ الجلسة نأكله ونستمتع بطعمة الجميل، تلك عادة ترسخت عند الجميع، أما أن تأكل "ذرة" أو "لبلي " أو "باقلاء" أنت مخير

في تلك الجلسة، بدأ والدي حديثه المعتاد عن أوضاع العراق، والانفجارات التي تأخذ الضحايا في ساحاتِ بغداد عاصمتنا الحبيبة، ننظرُ إليها في التلفاز، عند تذكر والدي لهذهِ الأحداث أراد أن يضعه على قناة ليرى الأخبار، شعرنا بالانزعاج جميعنا فتراجع، ثم قال:

- دعـوني أرى مـاذا يحـدث في العـراق، لا نشـاهد شـيء غـير المسلسلات،
- أنتم لم تعرفوا، ستأتي أيام صعبة جداً علينا كعـراقيين وقـد يـأتي الحصار الذي حصل قديمًا.

اعتبرنا حديثه كالمعتاد، لا يكف عن قول ذلك الكـلام، وبـدأنا بالضـحك، آه الاجواء التي تمس روحك بالدفء ماذا لو تعود لي حاليًا، أنا اتشوق ألمًا إليها، أنا في اندماجي، لم أعـرف شـيء، غـير أحـدهم قـام بسـحبي مـن شعري، ليقوم بإلقائي على الأرضِ، في تلك الأثنـاء، أصـوات صـديقاتي لم تتوقف من البكاء والصراخ، قام بفك عيوننا، وترك يـدينا، مربطـة، لننظـر بنظراتِ حزنٍ إلى بعضنا، كانت غرفة في منزلٍ وكانت تسكنهُ عائلة كـبيرة جداً، غرفة تركت فيها العاب الأطفال، وبعضهم كتب أحلامه علـى هيئـة قصاصات ورقية قام بلصقها في الحائط، كأنهم أنا عندما كنت في الطفولـة، لم اكف عن محاولة لصق احلامي الصغيرة على الحائط، رغم علمي سـتقوم أمي بتوبيخي عليهم، لكن ذلك لم يمنعني أن اتوقـف عـن كتـابتهم، ذات مرة كتبت حلمي، الآن هو يعيش، وأنا لم أحيا، لا أعـرف إذا هـو انتهـى أم أنا انتهيت، الرجفة بانت على كلِ كلمة ننطقها، لم نعلم ماذا سيفعلون بنا، كيف سننقذ أنفسنا، دخلنا إلى شيء لا يشبهنا فكيف الخروج؟

هذهِ المرة خيوط السلام بدأت تنقطع وشعور الأمان أختفى منذ زمن، ساعة الصفر والموت قد اقترب، أمان الله وحدهُ الذي يملئ قلوبنا، من يحررنا من تلك اللحظة، يا ليت الموت يحضر الآن ليكف الجميع عنا، آمالاً تتساقط مع قطرات الدموع وأحلامًا بدأت تتلاشى، الخدوش على الوجه والجسم يطلق رسالة زمنية مبهمة لمن خان نفسه، الأوراق المتطايرة للأطفال في انحاءِ الغرفة يبدو أنها رسومات لم تكتمل، لون الباب الذي يرمز للسماء وهدوئها، لكن لم يكن هناك شيء هادئ، الجميع على خطأ، لكن من أين بدأ كل ذلك،؟ أصبح الكلام صعب، كل واحدة فينا بدأت تعطي وصاياها للأخرى، كما لو أن احدانا تؤمن أنها ستموت وهناك من ينقل رسالتها إلى من ينتظر من عائلتها في ذلك المنزل الذي لا نعلم الآن ماذا كان شعورهم عندما علموا؟

زهراء بدأ حديثها بانهيار الدموع ادارت لي وجهها وقالت :

- مريم لماذا يحصل كل ذلك معنا؟
- أنا لا أستطيع أن اتنفس، أشعر كأنه حائطاً بنى بكامله على أضلاع صدري،
- أريدُ أن أذهب إلى أمي.
- أنا أحتاجها.
- هي الوحيدة التي كانت تنقذني.

أنعقد لساني كأن شبكة من الخيوط قامت بالالتفاف عليهِ لا توجد بيدي حيلة، كي أستطيع أن أخرجهم، يميل البشر إلى لومِ أنفسهم، عندما يصيب البلاء من يحبونهم، ذلك ما فعلتهُ أنا، كانت إيناس صامتة في لحظةِ الرهبة، تقربنا إليها رغم قيودنا، أصبحت كأنها خارج الحياة نهائيًا،

- إيناس تكلمي بأي شيء نحتاج إلى سماعِ صوتك.
- تحولت ملامحها إلى الضحك.
- لماذا أنتم خائفين؟
- نحن الآن في حلم، سنستيقظ بعد قليل ويعود كل شيء إلى طبيعته .
- تعلموا الصبر،

كان حديثها أشبه بوضع مطرقة من الحديد على رأسك وأنت في عمقِ النوم الذي أتى لك بعد سنوات من الأرق، ستكرهه من جديد، ويبدو كالعيش في صحراء يوجد فيها الصبار فقط،

صرخنا أنا وزهراء عليها بأعلى أصواتنا، نريدها أن تعلم أننا في محورِ الحقيقة الآن، لا شيء سيغير الأحداث، عالم الأحلام أوهام، خلقتها أرواحنا التائهة كي لا تدرك الواقع، أظنُ أني في الجزء الأصعب من الأحداث الآن.

دخل علينا أحدهم يشبه الأشخاص الذين نراهم في أفلامِ الرعب ولا تنساهم الذاكرة لخوفنا منهم، قام بضربنا بعصا كبيرة .

- لا أريد أن أسمع أصواتكم.
- أنتم نساء الأمير.
- سيزورنا بعد أسبوع، وتبقون هنا لحين قدومه .
- ستعملن بشكل خادمات لنا غداً.

هناك العديد منهم من لا نعرف لغته أبداً، لديهم شعر طويل جداً عن المعتاد، يقولون نحن مسلمين وهذا شكلنا الصح، جميعنا نعلم أنهم لا يمتون للإسلام بأي صفة كانت، كلامهُ كان يصيب قلوبنا بالخوف، كيف أن نتحول في لحظةٍ واحدة من ملكات منازلنا إلى خادماتِ أشخاص لم يعرفوهم؟ إلى من يهينون المرأة، ماذا ينتظرنا غداً، لانكف عن مرسال الأسئلة القاتلة، هذا الأمر كان في الليل، لم أعرف إلى أن وقعت عيني على شباك كان يظهر جزء منه وبدأت السماء بقمرها كان في المنتصفِ من الشهر يبدو أنه بغاية الجمال، عندما تحاوطه جميع النجمات من كل جانب، ويملك مكان ثابت لم يسرق منهُ ولا يقوم بانتهاكه من قبل مجموعة مخربين في أرضهِ، اعتقدتُ أني أول مرة أرى القمر أم أني أول مرة أراهُ بهذا الشكل الذي يلمع ويجعل من يكره الحب يقع في حبهِ، عند النظر تذهب بعيدًا بسذاجتك، ويختفي ذلك المليء بما يسمى الوعي، تظهر

الطفولة على وجهك ويعود عقلك ليعيش ما قبل خمسة عشر عامًا، كأنك في شارعِ منزلكم، في الليلِ وأيام الصيف ونظرك ذاته إلى القمر حيث يبدو لك أنه لعبة بعيدة من الصعب أن تحصل عليها، وترسم على وجهك تلك الضحكة بصوتٍ عالي بين أطفال الحي، لتلعب في لعبةِ "مسدس الماء" وتركض بين الأطفال لا أحد يهتم لجنس الآخر على فطرة الله الوجودية، وروح الحب التي تزرع من الوالدين، وأرى أمي تشمخ من أعلى الحائط لتنادينا للرجوع إلى لمنزل كي ندرس الامتحانات النهائية ونقوم بتردد اسم كل واحد فينا لكي نوهمها أننا لا نسمعها، أما أنا اليوم في أي حال أنظر إليك ضوئك يجلب التعاسة لي وينعكس في عيني التي هزمها الواقع ما الذي يمكن البشري الحقيقي الذي خلق منذُ الآف السنين فعله؟ إذا وقع في نفس الفخ من الحياة، اهمال الواقع والعيش في الذاكرة، تجرد من المشاعر والأحاسيس، العيش مع الوحوش المفترسة، كيف تخلصوا من كل ذلك؟

رغم قلة انعدام الوسائل التي توجد الآن في زمن يحوك الأموال من قطرات الدموع التي تنزل من عين امرأة قدمت ولدها الوحيد شهيداً لهذا الوطن، من دماء أطفالٍ تعبر بين مئات السيارات كل يوم في الشارع، من أجل أزاله الغبار عن سيارة قاتل والدهم، للحصول على ما يقدمه القاتل أضعافاً لأولاده كل يوم قبل الذهاب إلى المدرسة، يباع الحب والإنسانية من

أجل الكاميرا الموجهة باتجاه الوجه المليء بالحقد الداخل في القلب، عند الاتجاه إلى الجانب الآخر، يظهر ما كان يخفيه، جميعهم زيف، نحن نقتل كل يوم ما يعادل ألآف المشاعر التي لم تحتسب عند البكاء، فكيف بالأبرياء في هذا البلد، لا نعلم متى يزور العدل عمرهم الذي لا يتوقف عند ساعة الظلم.

رمشت عيني عن ضوء القمر لتعيدني إلى الواقع المرير الذي نحن محاطين بحيطانه الحقيقية يبدو أن إيناس وزهراء كانتا نائمتين في اعماقِ البحر المليء بالكثير من الأضواء الكئيبة، كان ذهني مشوش، في أذان الفجر كنا نملك أمان، وعند سماع صوت أذان المغرب، كنا فقدناه حتى الصوت هذهِ المرة مختلف ولا يكون بالشكل الحق والواقع لا يظهر الحال وحدنا في هذهِ الحرب، رُبما هناك عدد لا يحصى من اللذين هدمت منازلهم وسرق امانهم، كانت ليلة كاسرة لفرد لا تهدمه المعارك، يداي المرتبطتان بحبل المشانق تحول لونهم إلى الأحمر، لكني لم أشعر بذلك الألم، كأن ما سكن في داخلي وبنى منزلًا و عائلة أكبر من كل هذا، غارقة في التساؤل حول مدى قدرة هؤلاء الوحوش ليفعلوا كل ذلك؟ ولماذا لم يوقفهم أحد؟ لمن تكون مصلحة عوائد هذهِ الدماء ؟ ماهي أصوات الصياح في الخارج ؟مع صوت اطلاق النار، هل قدمت قرابين جديدة من الناس الأبرياء واللذين وقفوا في وجوههم، وصمدوا لحماية انفسهم وعوائلهم، في

الجانب الأخر من خلف هذا الحائط هناك من يموت بدون رحمة أما من جانبنا فنحن، لسنا بالأموات ولا بالأحياء ، أما من الجانب الثالث هناك اطلاق النار، ومن الأخير، شخصٌ قاتل يرقص فرحًا بتشغيل انواع الموسيقى احتفالًا على بقايا جثث سطرت مقاومتها وصمودها، دون الاستسلام وتقبل الهزيمة، علينا المحاربة ،تقبل الحال والتأقلم مع مالا يرضيك ،هدية هزيمة تقدمها بالمجان إلى نفسك، كالذي يأخذ قطرات من دمك ويقدمها مفاجئة بهيئة عصير الرمان لتشربها خذ منك حياتك ليمنحها لك ميتة إلى الآن لم يمنحونا الطعام ولا الشراب ، قتلت كل تلك المعالم في الوجوه الشابة التي ورثت من اجدادنا الذين كانوا من الأصل عند الخروج لمكان، يستلزم الجميع معرفتك من تلك العين أو حتى الابتسامة،

كانوا ينادون (الله اكبر) في كِل مرة يسفكون الدماء ولم يعطوننا الوقت حتى نصلي تحت أي مبدأ يسيرون ويوهمون العالم، عند حلول ساعات الفجر الأولى التي كانت موجودة من قبل لتحريرنا من كل هذهِ الطاقة السلبية التي خمدت للركود في دواخلنا، حاليًا في هذا التاريخ وهذهِ الساعة بالذات كانت تشبه الجحيم الذي نقرأه في الرواياتِ المرعبة بالكاد أستطيع تدوين ذلك اليوم تمحو ذكرياتك عن شخص لأنه عذبك، أنها الغريزة البشرية لحفظ الذات بما يسمى ألية الدفاع.

هل سنعيش في إطار القدر المحتوم؟ هل يستطيع الأنسان الهروب من قدره يوماً؟ أم ذلك الذي ختم على وجوهنا؟

لم تمر إلا لحظات بعدها ، دخل علينا أحد من هؤلاء الوحوش مع فتاة صغيرة في العمر يلاحظ أنها في سن الخامسة عشرة من عمرها، وهو يقوم بسحبها من شعرها ورميها في داخل الغرفة معنا، قلت في نفسي والدموع تنزل مع حسرتها ،أظنُ أنها الرهينة الرابعة،

ستبدأ الحكاية الواقعية من الآن، سقطت بالقرب مني، وقعت من رقبتها الصغيرة والرقيقة قلادة تحمل في داخلها صورتين ، احداهما ترمز لخارطة العراق والأخرى كانت تحمل صورة السيد المسيح، انهارت ودموعها لم تكف عن النزول، اقتربت منا جميعنا وقامت بفتح يدينا .

- من أنتم ؟
- من أين أتيتم ؟
- كيف قاموا بوضعكم هنا ؟

لم تتوقف عن الأسئلة المطروحة على لسانها، كأنها وجدت من هو سيء في الحال أكثر منها، إن لم يكن السبب صحيحًا فلا ينفذ الأمر، وإن لم ينفذ الأمر فلا ينجز العمل، هذا كان ما يفعلونه،أجبتها بأسئلة:

- من أين لكِ هذه القلادة؟

– قالت: أنها لي،

كنتُ ألقي النظر على كتبي الخاصة للتجهيز للامتحانات الوزارية، في منزلنا الهادئ، حتى سمعنا تم السيطرة على مناطقنا من مجمعات إرهابية تسمى "بداعش "كنا نحيا بأمان تحت سقف يحمينا، تعودت عائلتنا على الترابط الروحي، نملك عائله صغيرة مكونة مني مع أخي الكبير وأبي وأمي، رفعتُ رأسي من الكتاب سمعتُ أصوات اطلاق النار عالية جداً في الخارج، وصوت أمي يخرج هذهِ المرة عاليًا جداً، دخلوا بسياراتهم ويطلقون النيران على الأرض التي ملئت بأشكالهم القبيحة، استمروا ينادون، ويسألون أمي كنا أنا وهي وأخي معاً، والدي كان في دوامهِ المعتاد، يعمل في محطةِ وقود قريبة على منطقتنا، تبعد ربع ساعة، من ستسلمين لنا هدية، أما أن تكون أبنتك أو أبنك لكن على أي حال سنقوم بأخذهم مع بعضهم بدأ أخي بالصياح حاول أن يتقاتل معهم، فجأةً ، قاموا بأطلاق النار عليه، تلونت جميع ملابسه بالدماء الحمراء، أنا لا أستطيع أن اتحمل ذلك، اخبرتهم أن يقتلوني مع أخي وضعتُ جسده في حضني لا شيء يضاهي دفء جسد المرء عندما يعانق من يحبه، سقطت أمي بجانبه وتبكي، قاموا بسحبي من شعر رأسي ووضعوني في السيارة، كل الذي تبقى من عائلتي هو هذا الدم الذي في يداي، سأقوم بلفهم كي لا أخسر ما تبقى منهم، كان أخي ملقى على الأرض، ونظراته

تحيطني وعيونه التي كانت تتجه إلى السيارة أخذت كل طاقتي الصغيرة رأيتُ أبنة جيراننا كانت صديقتي في المدرسة، قامت عائلتها بتسليمها في يديهم خوفاً من أن لا يقتل أحداً منهم، نظراتها وهي تصعد في السيارة لا تفارقني، حلت الأوقاف العصيبة وفي الأوقات العصبية، لا بد من وجود كبش فداء فهو مطلوب، قام الجميع بتوجيه أصابع الاتهام لها، حتى تصبح فداء من أجلِ عائلة أخرى، كانت دائماً تحدثني أنها تؤمن في عائلتها كثيراً، لكنهم يخذلوها في عدةِ مواقف، لم تسمح لنا الفرصة أن نتحدث بكل التفاصيل، هل يكافئ الأيمان بحالة مأساوية تقدم له تعويضاً؟ هل يعقل أن يفعل الوالدين ذلك! اجبتها بترد: نعم يمكن أن يفعلوا أكثر من هذا، مثال بسيط ربما ستفهمينه من خلال كلامي، العديد من الناس في هذا المجتمع يقدمون بناتهم هدايا، تحت مسمى زواج الأقارب حتى وإن كان ضد رغبتها وامالها ، يقومون بقتلها وهي حية وعند التساؤل تكون اجابتهم تم قتلها بقضية "غسل عار" لنتخلص من السمعة السيئة التي جعلتها علينا ، وهي تدفن تحت التراب بحقوق مسلوبة من الولادة حتى الموت، ولا أحد يفتح فمه للكلام معهم، تتطلق من أحد لا تآلف روحها معه ولا تصل إلى نتيجة تهدأ كيانها، لتظهر مسميات مختلفة عليها من عائلتها نفسهم ومن كل المجتمع المحيط، لا يسندوها بكلماتهم ويقولون فشلت في الزواج و نجحتِ في الطلاق، وذلك

مختصر بسيط يعني عندما يريدون أن ينهون القضية وكانت الضحية أبنتهم على سبيلِ المثال سيقومون بأخذ المال، ليتستروا على القاتل وينطلق في حريته وهي تأكلها التربة الرطبة في المقابل، المعنى الحقيقي لعبارة "أقتل القتيل واسير في جنازته" في أي كوكبة زمنية نحن نعيش، وبين أي كائنات، يكون الظلم قانونها المستبد، العديد من هدمتهم عائلتهم، وظنوا أنهم الأمان الوحيد، من تعرضت للتحرش من عائلتها، فكيف بالخارج أن يرحمها، تسلب ارواح الفتيات كل يوم بأعداد لا نستطيع احتسابها، أصبحوا هم الركن الهادم والسبب الرئيسي للتشرد، حتى أصبحنا، نقف لحظة فخر واعتزاز لكل عائلة تمنح بناتها كل الحقوق اللازمة من الدراسة، وحتى الحق بقبول الزوج ورفضه، وهذهِ هي ابسط الأمور التي تحتاجها أغلب الفتيات أن تقول "لا " عندما لا تريد شيء، تلك أهم كلمة تحتاج أن تنطقها في كل حالة مأساوية تتعرض لها كل ما تريده أن تقول "لا، لا " إذا كان في دواخلها رافض كل الأمر، غير مجبرة أن ترد "بنعم" مخافة من ردود الأفعال، مخافةً من حالة الرعب التي تسكنها منذ الطفولة، ذلك ما يخلق شخصية مهزوزة، يمكن أن تلين بكلمة حب واحدة، ويمكن أن تنهار بكلمة حزن واحدة، ما الذي يخلق في أذهان الوالدين، إذا لم تحرمها من شيء.

- إذا لم تقيدها، ستكون بكامل حريتها، حتى تسيء السمعة لاسم والديها ذلك كل الذي يخطر في عقولهم، لم يعلموا أن منح الفتاة الثقة الكاملة منهم، سينتج منهن شخصية، لا يستطيع أحد أن يكسرها أو يقوم بذلها، تكون قوية من ذاتها، تخرج عن السرب المعتاد، تقفل جميع الأبواب، لترفع ثقتهم قبعة الأمان على رأسها، كل ما في الأمر، الثقة، الأمان الروحي، الاطمئنان الذي يمنح من قبلهم هو الذي يبني لها شخصية قيادية في عالم مليء بالخبث والفروقات بين الجنسين، لا زالت متوارثة منذُ القدم بين غالبية الناس ، فلا تظنين أن هذا الشيء لا يوجد ولا يخطر على بالك مسمى التطور والخلق البشري الطبيعي، العديد منهم من يقوم بتقديس الولد وتعبيد البنت ولا يستوعب قدرة المرأة على النجاح والوصول إلى ما لا يخطر في عقولهم من النجاحات على جميع المستويات والمجالات التي يمكن أن يوجدوا بها هم ،

تقاطعنا زهراء في نبرة الصوت المكبوتة،

- مريم ما الذي نفعله الآن، نحن وقعنا في البلاء .
- لماذا جئنا اليوم اخبرتني أي علينا تأجيل الرحلة .
- والدتك أيضًا اخبرتك لماذا عاندنا .
- وقعنا في المأزق ،

اخبرتها، ما كان الأمر يسمى بالبلاء، لو كان بالإمكان تفاديه ، كانوا يؤمنون بأننا نستطيع التغلب على كلِ شيء لذلك، اعطونا الفرصة كي نصل إلى هنا اليوم ، لننظر ونرى لأي مدى يمكن أن نكافئ ايمانهم فينا، اصبحنا أربعة فتيات كل واحدة منا تريد أن تنجوا بحياتها، كل مخيلة واحدة هي أن تصل إلى عائلتها وتعانقهم، جميعنا لدينا احلام انزاحت على رف اظنه سيترك، ليبني قصص واقعية منفردة جديدة، لا تعلم إذا كانت ستذكر في أحد الأيام أم سنصبح تاريخ يذكر أم تمحو ذكرانا كأي شخص ظلمة التاريخ ، بعد أن اهداه كل عمره.

- هل سنعود إلى رتابة حياتنا اليومية التي كانت موجودة قبل الآن ؟
- السؤال الحق هو هل سنحيا بعد هذهِ الساعة؟

بدأت أشعة الشمس تظهر من خلف الكواليس الواقعة في ظهر هذا الشباك ، وتكررت الأحداث، كأن الأمس كان قبل عام وأكثر، دخلوا علينا بعض من الوحوش وأشكالهم من سلالة تنعم بالقبح، وقاموا بأخذنا إلى الصالة.

- منذُ هذهِ اللحظة، ستصبحن خادماتنا في هذا المنزل إلى أن يظهر اميرنا عندها يتم نقلكم إلى منزله، عرفت في وقتها إن البشر يقوم بأفعال غير إنسانية أكثر من الحيوانات نفسهم، فلا يجب أن

نظلم الحيوان عندما ننعت احدهم به، من هنا يتغير الخيال، لتعكس المرآة الحقيقة، البعيدة عن السعادة.

قاموا بتحويلنا إلى خادمات، عانينا ما يحصى من ذلك الروتين القاتل كل يوم، التعذيب بجميع أنواعه، مسح احذية القاتلين، الصمود عندما تحاول الروح أن تخرج على أمل أن يفتح الباب يوماً للخروج من هذه المقبرة التي تدفن الأحياء قبل الأموات، مضى على بقائنا هنا حوالي ثلاثة أشهر، نرى الموت بشكله الحقيقي في كلِ ثانية تمر يقتلون كل بريء لم يعلم سبب وجوده، يغتصبون النساء تحت ما يسمى "جهاد النكاح" في نظريتهم المقيتة، عندما تصعب الأمور.

يميل الإنسان للضغط على نفسه من أجل الهروب، فليس باليد حيلة ولا تظن أن هذه الدوامة اليومية ستخلص دون التحرك من هذا المكان والمحاولة للتخلص منه، يؤلمك الأمر

بين الحين والآخر كشوكة في يدك عندما تضغط عليها تقوم بأذيتك.

- رغم ذلك، سأتغاضى عن الأمر، أفضل السعادة الغير مثالية على الحقيقة المؤلمة.
- سأنهي هذهِ الآلام الجسدية والنفسية التي تتكرر طوال هذهِ المدة، لا بد من وجود طريقة نتخلص بها من الوضع الذي نحن فيه، لا

يمكن أن تغلق الطرق جميعها في آنٍ واحد، ربمُا هناك احدهم مفتوح لم نلاحظه طوال هذه المدة التي نموت فيها هنا ، لكن كان للحقيقة مسار آخر أراد أن يظهر مختبئاً بتلك الآمال الزائفة التي تعطى من اشخاصاً، لا أمان لهم، لو أن للشمس حقيقة غير أنها تضيء، لكانت نفسي تذهب مسرعة إليها، ظني سأقترب في كل مرة للوصول لنهاية الطريق.

روان رأت في أحد الايام، شخصية كبيرة يبدو أنه كان يتفاوض معهم، تسللت على ببطء وذهبتُ إليه بعد أن خرج من المنزل، اختبأت خلف سيارته، حاولت أن تكلمه، نحن نقوم بتنظيف المنزل جميعنا ونطبخ الطعام لأولئكَ الوحوش الجائعة للدماء.

آه، نسيت أن أخبركم، قاموا بتغيير اسمائنا، ليطلقوا أسماء على كيفيتهم المعتادة، أنا تحولت من مريم إلى حفصة أما زهراء إلى سعاد وأما إيناس كانت تسمى اَمنه، روان تحولت إلى رفيدة ظناً منهم تلك الأسماء هي الأقرب للإسلام وذلك سيجعل منهم مسلمين يتوجهون إلى الله، كيف بالله خالق تلك الاكوان جميعها أن يجعلهم يسرفون الدماء في ارضهِ بكل اريحيه ، مبادئ الإسلام الحق هي التي جعلت الجميع يتعايش مع بعضهم تحت مبدأ الحب الكوني، لكنهم اوهموا انفسهم في غشاءٍ ضوئي مبهم، متيقنين سيصدق الجميع تلك الأكاذيب، نعلم جميعنا من تلك

الوحشية يقومون بأخذ افكار الأفلام لتصنع قصص تملك كمية كبيرة من الفرق تجاه ما يسمى بالمسلمين ليتحول إلى مسمى الإرهاب، لا ننسى المقولة الشهيرة لشاروخان أنه ممثل من جنسية هندية لهُ شعبية كبيرة ظهر في أحد أفلامه اسمي خان، أنا مسلم ، أنا لست إرهابي العديد من الديانات والثقافات الأخرى تأخذ فكرتها ونظريتها التامة على ما تراه في مشهد قتل أو كلمة مضره من هؤلاء تصنع تلك المسيرات العقلية، والنفسية، والاجتماعية، والثقافية في كل إنسان، لم تمر غير بضع ثواني من الزمن القاتل، حتى ترددت في اذني صوت نيران تثور من أحد اسلحتهم ، هنا صمت كل شيء إلا داخلي بدأ ينطق بعد أن كان أخرس.

- ماذا حصل؟
- ماذا قالت له روان ؟
- هل قام بإنقاذها منهم؟

ركضت زهراء باتجاهي تغير شيء من شكلها، ما الذي ضاع ،. آه نحن جميعنا ضائعون !

- مريم: قاموا بقتل روان .....مريم سمعتي ماذا قلت أنهم قتلوها في الخارج.

اختلف كل شيء الآن أين الأمل الـذي ذهبـت متمسـكة بـهِ، لتعـود إلينـا بحل يخلصنا من كل الأذى .

– أيموت كل من يبحث عن النجاة ؟

لم تختفي الصورة مـن قلـبي وعقلـي، عنـدما ركضـت مسـرعة ،لأرى روان وهي مرمية على الأرض، سرتُ خطوات قليلة لأتقـدم باتجاههـا سـحبوها بعيـدًا جـدًا، كالنفايـات المتبقيـة في المنـازل ، ذلـك كـان تعاملـهم الأخـير بجثتها النقية التي يصلون إلى قطرة من بحر دمائها ، جزأت كلامـي لكـي اتردد بهِ،

جميعنا انانيون، نحـنُ الـذين قتلناهـا كانـت تملـك حلمًـا بسـيطًا، لم ينهوا حياتها، قاموا بأنهاء حلمًا آخر لفتاةٍ عراقية لم ترى النور في حياتها من أجل طريق كانت نهايته. لم يقوموا بدفن جثتها في تربةِ هذا البلد إنمـا عاملوها كأي شيء يتم الـتخلص منـهُ لأنهـاء ضـرر، لم أسـتطيع حتـى أن اصرخ بأعلى صوتي كأي شخص فقد فـرداً مـن المقـربين لـهُ، روان في هـذهِ الفترة أصبحت كأخـت لنـا واسـينا أنفسـنا في كـلِ لحظـة ونخفـف جـراح بعضنا، عسى أن تظهر ساعة تطيب بها الخواطر ونعودُ إلى منازلنـا، عـادة تظن أنك انقذت نفسك من الجحيم، لكنك لا تعلم بأنك وضعتها في جحـيم أكبر، جلسنا في المكان الذي امتزج مع دمهـا، جـاءوا مسـرعين باتجاهنـا، عاملونا كالحيوانات المستخدمة لأغراض خاصـة، إلى الآن لم يـأتي اميرهـم

الذي ينتظرونه منذُ بداية هذهِ الحرب قد علق في أحدِ الاشتباكات التي حصلت، ليعود إلى مكانٍ أخر لهم، سمعت ذلك أثناء مروي بأحد مجالسهم قبل فترة مضت،

قام بجرنا إلى الداخل، اختلطت ملابسنا السوداء مع التراب المليء بدم روان، ليتمحور الكون في وسط تلك الثياب كأي بصمة تمنح القوة، اكتسبتُ املاً من تلك البقعة، من الآن لا أستطيع غسلها، ستبقى إلا أن ينتهي هذا الطريق وتحكم القضية بنهايتها.

في حكايتنا فرداً منهم يسمى يوسف، من أكثرهم جرماً بحقنا، يمتلك شعراً اشعث جداً ويكاد درجة الوساخة فيه كأنك ترى الحشائش زرعت في داخلِ هذا الشع، لا يبدو من هذا البلد، رُبما كان طائشاً في أحد البلدان، ليأتي ويصبح وحشاً برياً في أرضٍ عراقية، قال بعد أن رمانا في الداخل:

- إياكم والخروج من هذا المكان أو حتى المحاولة!
- إذا قام أحدهم بأخبارنا عنكم أو سمعنا حاولتم الهروب،
- تيقنوا ستكون نهايتكم كنهاية رفيدة،

قامت بأنهاء حياتها بنفسها عندما ظنت أنها ستخرج من هنا أو هناك من سينقذها، أتظنون الأنسان بخروجه من العسر تكون مجرد أكذوبة يتقنها

عقله؟! أم هل إيمان كامل ويقين تام على اليسر؟ ذلك المشهد أصبح معتاد جداً، لكن عندما يكون من الأقرب إلى قلبك هو في أرض المشهد والذي أصبح قصة تسلية للأخرين، هنا يصبح الألم بشعاً، والحرب باردة، والأرواح سهلة أن تؤخذ، من كان هناك واقفًا لينظر إلى جثة روان وهي تقطع، رُبما سيلمس البرود قلبه، لم يشبه ذلك حيث الحرارة تبدأ بالنزول، وتشعر بجسمك كالثلج، أنها لحظة باهتة تجاه كل شيء، سواء مت أو كنت حي، لم يهمك الأمر، يكون بمثابة استسلامك المرسل إلى قوتك التي كسبتها بالأمس وفقدتها اليوم، لم أستطيع أن أتناول لقمة واحدة، تمنيتُ لو أنني احتضنتها لكي لا تذهب من عقلي، تلك الصرخة المفجعة لا تنسى ستخلد في تاريخ وضمير كل شخص باع وطنه أي ليلة ينام فيها من سلب قلوب الأمهات، أنا لا زالتُ أفكر كيف يغفى المرء من تلطخت يداه باللون الأحمر كالأنهار النابعة للحروب التي لا تنتهي، استمرينا على نفس المصير المميت لأيام جديدة، لم يتجدد فيها شيء، غير قتل أشخاص جدد، جلستُ مع البنات في المطبخ ونحن نقوم بطهي السم لأولئك الوحوش.

- سأقوم بوضع خطة للهرب.
- لا يمكننا أن نبقى إلى الأبد في هذهِ القبور .
- أمنوا بنا عائلتنا، لماذا لا نؤمن بأنفسنا نحن؟

زهراء تتحدث وعلى لسانها الالتفاف المحزن .

- مريم، ماذا تحاولين أن تفعلي؟!
- هل تريدين أن تكوني أشبه بروان؟

من حقهم أن يتحدثوا بهذهِ الطريقة ، ابواب الوصال انسدت في وجوهنا ، فقلوبنا ليست بحجارة حتى تحمل كل هذا ما حال أهلنا وهم ينتظرون أم قطعوا الآمال، أصبحتُ أمام خيارات متعددة ،لا أنه خيار واحد وهو الموت و النتيجة تختلف أما الموت بطلًا أو جبانًا ، حائر في التردد، حل الليل علينا، أمضينا ما يقارب ثلاث أشهر على هذهِ الليلة الواحدة لم تكن ليلة كانت ليالي ممزوجة لتمر وتثقل صاحبها دون أن يأتي الهاجس الذي يخبره لا تقلق ستكون بأمان قاموا بالتنقل فينا من مكان إلى أخر، عرفوا أن قواتنا الأمنية تصل إلى كل مكان، كانت احاديثهم بينهم الاستهزاء بكل شخص يحمل العلم العراقي والقيام بقتله، آخر محطة كانت لنا هي أن أجد الخلاص، فبعد أن استقرينا في منطقة جديدة، لم أعرف أي اسم لهذه المناطق أبدًا، فأنا أسمع بها أول مرة وادخلها أول مرة، كيف يمكنني تخيل أن تدور المحاة لتطمس في آخر كلمة كتبها القلم وتظهر آثار السواد عليها، لتذكيرها أنها ستبقى خالدة لمقاومتها، عندما رأيتُ الناس وهي تتوسل على حياتها ورأيتُ الشهداء تعلق جثثهم في الجسور، وهناك من يقتل ويصبح شهيدًا فقط بسبب اسمه أو حتى وجهته، هنا زادت

الغربة عندي لكي احاول من جديد حتى أستطيع أن أنقذ نفسي وصديقاتي. البيت الجديد زرع في داخلي أمل جديد كأني هذهِ المرة سأنجح للوصول إلى غايتي، الدماء الحمراء امتزجت في جميع حيطان هذا المنزل، القصص المتروكة في منتصفها وحيرت القارئ، جميعها سلبت من نهايتها قبل أن تبدأ، الأماني المهشمة، التأمل، جميعها علقت في كلِ زاوية هنا، يسلب الإنسان من حياته ويعتبرون ذلك أنجازهم، في أحد البيوت التي مررنا بها قبل، رأينا كيف الإنسان يخسر عمره في دقائقٍ معدودة دون أن يعرف سبب موته، ربما لأنه عراقي أو لأنه قال كلمة الحق أو لأنه دافع عن أهله، هكذا هم الوحوش الجشعة يسلبون الدماء قبل الأرواح والأحلام قبل الأجساد تلك ميزة قاسية اكتسبوها عبر الأزمان حتى اطلق عليهم تلك المسميات، ذات ليلة حيث بدأت الجريمة الكبرى، ولأنني لن أنسى ذلك الألم الخاص بالندم، عندما تعيش مع ضمير يسلب عقلك بالتدريج نتيجة شعورك بألم من أجل شيء لم تعشه بإرادتك ولم تتحكم به تحت مسمياتك المتنوعة، حين كان يخيل في بالي، أنني سأتخلص من كل تشوهات الزمن هذهِ والعقد التي خلقت على ذاتي منهم وسأصل إلى بر الأمان مع صديقاتي، ربما سأكون محاربة، حاربت الزمن والتوقيت الغير مثالي والجرائم اللامتناهية، ربما ستكون تربة سقيت بغير مائها، أحتاج الأمر أيام حتى يبدأ ذبولها وموتها، تحدثت مع زهراء

وإيناس: أستمعن لي جيدًا سنهرب هذهِ الليلة فلا نجاة لنا، دون المحاولة القاتلة ،لا يمكن أن ينقذ أنسان، أنسانًا أخر، دون أن يصمدوا مع بعضهم لتفادي المخاطر حسنًا سيصل الليل قريبًا، وفي هذا الوقت ستغمض عين الوحش لينام هادئ في جحره، وتبدأ المخاوف تتسرب من حولة ليعيش كل شخص أرهبه النهار، قصته في ظلام الليل، استغلال الفرص خير من ضياعها والندم على لحظات الضياع، أنت كأنسان تحاول تفادي الوحوش كي لا تقع في فخها، وعندما تقع ترعبك الثواني المعدودة لكي تنجو بحياتك فما الإنسان إلا كتلة مصغرة من الخوف، والرهبة، والقوة، والاصرار والتردد، في كلِ موقف ترى احدهم يطغى على الأخر وحسب حجم اللحظة في وضعٍ كهذا وضع تهرب للإفلات بنفسك، النجاة خيراً من الغرق كالجبان، والموت هزيمة الأحياء الأبدية إلا أنه انتصار الميت عندما يكون بطلًا لحكايته الفردية، وهزيمة لمن عاش ضعيفاً محاولًا الهروب من كل الصعاب، اليقين التام في هذهِ اللحظة سيطغى على كل المخاوف ليرى نتيجة الزمن، عبور حاجز المخاوف المتوالية من أسوء ما يعيشه المرء، يتمتم تبجيل الخوف على لسانه المنطبق، لا تنتظر أن يحدث ما في مخيلتك الواسعة من مخافة شيء بالكاد يخطر في هذهِ الأرض، أفضل من التردد أجعله يتم، فعلي ذلك، كان يوهم نفسي ببعض الاطمئنان وأن لم يذكر، تأبى أن تسير أحداث القصة المحللة في عقلك

اللاوعي دون أضافة شيء من الخوف المزين بالجبن المتشكل على هيئة باقة من الأزهار التي يثير عطرها من يعاني من التحسس وبين تلك الألوان الجميلة تظهر هناك زهرتان ذابلتان تحاولان التعايش والظهور بشكل ألطف، لكنهم يميتون الجميع، ذلك الخوف والتردد الذي يعيق طرقنا عند التقدم أمام أي فكرة، أن تعيش محاولاً تقبل كل ما يحاوطك، مرة تقبل الأشخاص ومرة أخرى تقبل المكان، حتى تصل إلى نقطة التوقف لوضع حداد على ما خسرته في هذه المرحلة، لابتسامتك، لطبيعتك، لحيويتك وأيضًا طاقتك الفعلية، ولم تعطي أدنى فرصة لذاتك الروحية، لكي تقتل هذهِ المخاوف النامية في العقل، لتتحرر من مرحلة المقاومة، والوصول إلى حالة كسر الحواجز والتقبل الداخلي غير ذلك الذي يرسم في الظاهر، بصورة تدعوا إلى البكاء وإلى أي فترة زمنية تنتظر حتى يصدأ الباب الذي ترمي نظرتك البعيدة عليه، ربما يقع من تلقاء نفسه ماذا وأن لم تقم بتغييرة، حطمنا وجودنا، دون أن نحطم ذلك الحاجز، لا تحاول الافلات من أمنياتك وأحلامك المعلقة. أنا أعلم أن في كلامي ستجدون التناقض المثير، يصبح الأنسان متناقضًا عندما لا تسعفه نفسه لاختيار شيء واحد، يميل إلى محاورة نفسه في كل ثانية حتى لا يخيبها في اختيار شيء ويفضل الآخر عليه، ولا يعيش في ألم الخيبة الذاتية، يبقى متناقضًا ربما سيجد الاطمئنان عندما يقف مع شيء مرة ومرة أخرى يكون متضاد له،

الأمر اشبه أن تقف في المنتصف بين المياه والنيران، لحظة تشعر أن النار هي فرصة هروبك، لكنك تعلم أنها ستحرقك، وتدخل إلى داخلها متأملاً ستجد من يطفئك ذات ساعة، وأخرى تنظر إلى المياه إنها فرصتك للنجاة، لكنك تعرف أنك لا تتعلم السباحة من قبل وستغرق في أول جزر ومد يمر عليك رغم ذلك تستمر متأملاً أن ترى قاربًا يسعفك، التحول السريع في ذات اللحظة يصبح مميت وقاتل للحظات المهشمة ووليدة الحياة، الإنسان بطبعه البري اشبه بالتائه بالصحاري لا يعرف وجهته إلى أين لكنه يسير في الاختبارات من الذات الإلهية وتلك هي ميزته حيث العقل ومنطقة واستغلاله للنجاة،

يجعلنا الله في طرقٍ مختلفة لنجد أنفسنا في لحظةٍ يقف شامخًا أمام تلك المرآة المسميات بالواجهة الحقيقية للإنسان، ما حاجتي الآن وأنا أكتبُ هذهِ الكلمات، ربما في هذهِ اللحظة عقلي مشتت من مصائب تلك الأيام، الأرق أصبح مصيري الأبدي ، أما الخلاص النهائي فهو لا زال منتظر، لا أعلم متى لكنه سيحين مع النسمات الحارة من تلك الصحاري، بعد أن بهتت الوان القاتلين في همساتِ هذه الظلمة سأذهب، قمتُ بتجميع أطعمة وملابس في حقيبةٍ صغيرة قبل أيام ووضعتها في داخل المطبخ، أصبحت موشومة للتخلص من كل هذهِ اللحظات المروعة ولحظة نجاتنا، لا يبدو الأمر أنني اتحدث عن حقيبة فقط، فهي ساعة الصفر

بدأت، وأمان الأنسان يبدأ من تأمين نفسه من كل جانب وأولهم هو أن يروي عطشه في الصحراء، قد تضيق بنا الطرق وذلك هو الرمز الأول يجب معرفته قبل التوجه والانطلاق في طريق مروع ومليء بالصعوبات، لا بد من إيجاد شيء يصبح امانك، فليس الآن في قلوبنا غير أمان الله ومأمنه وتلك الحقيبة سنذهب واين ما تكون المحطة فأهلاً بها، اللحظات المصيرية ستكون قادمة لنرحب بحياة لم نستطيع أن نتحكم بها لكن نسايرها بكل طاقة كونية موجودة في هذا الجسد المخلوق من العدم، فقد مضى ما يكفي من المدة اللازمة لصمودنا وتحملنا ما لم يتحمل، التعايش من الحيوانات المفترسة يكون قاتل، فمتى ما جاع ولم يجد اللحوم سيقوم بالتخلص منك ليأكلك ويسد جوعه، الله في كل مكان والوحوش في مكانٍ واحد،

- أستمعن، سننطلق وما يأتي سنتقبله،
- زهراء لماذا لا زلتِ مترددة ألا تريدين العودة إلى أحضان والدتك.
- إيناس لنكن واعين ولا تشعرين بالتوتر، أقل ردة فعل خاطئة، ستنهي حياتنا،

قمنا بالنظر إلى الباب الخلفي حيث لم يكن هناك أي أحد وخرجنا منه، سمعنا نباح الكلام، قامت إيناس بالارتجاف، حاولنا تهدئتها لا زلنا في الخطوة الأولى، لم تبدي الحكاية بعد، شكراً للتوقيت لم يكن النباح علينا، كان على أشخاص آخرين قادمين من الجهة الأخرى، ربما مع

حكايتنا هناك قصة تحاك وتدون في الطرف الآخر لم نعلم عنها أي شيء، بدأنا بالتقدم تدريجياً نحو وجهه مشوبة وغامضة، لم نرى أي ضوء يسطع علينا غير الظلام المخيف، لكن سنستمر، لا تكون هناك ثواني للتراجع، أنا أعلمُ في داخلي خوف الفقد والهزيمة والفشل، لكني لا أبدي أي من ذلك، كي أكون نورًا يضيء أرواح صديقاتي للطريق، سرنا بعض الخطوات وعبرنا مسافة اعتبرناها أنجاز ونحن نتهرب من كل الجهات، سمعنا أحد ينادي من خلفنا بأعلى صوته، ارتدينا الملابس التي اعطوها لنا ذات مرة لنتمكن من الحفاظ على حياتنا بينهم وتمسكًا بما يفرضونه تحت مسمياتهم الالتزام، نسوا أنهم لم يعرفوا اخلاقه جيدًا، ولا يعرفوا معنى مبادئه الحقيقية، تلك الملابس ساعدتنا في التخفي في هذا الظلام،

- من أنتم ؟
- أرفعوا أيديكم هذه الأصوات هي خلقت

في عقولنا لم نستطيع أن نفرق بين الواقع والمخيلة لكثرة وهول ما حصل ، باتت حتى النجوم وضوء القمر مصدر خوف لنا، لم يكن الأمر بتلك السهولة، كانت حرباً واقعية تشبه العالم السينمائي لم يخلق في مخيلة أي أحد لاحتمال واحد أن يقع ويصل إلى هذا الحال حيث تصبح أنت ميتًا في كلِ جهة، تسير ولا تعلم أين نهايتك، أملاً يتطاير مع غبار الصحراء مع كل صوت يخرج ويندب ومع كل رصاصة طائشة تقتل من لم يعرف معنى

القتل حتى بتنا نخطط إذا وقعت أحدانا كيف نقوم بدفنها، كيف نستطيع أن نستر جسدها ونحميها من أشعة الشمس وأن تصبح لها علامة يعرف بها قبرها خوفًا من أن يضيع مع هذه الرمال، إذا وصلت إلى حال تترقب الموت في كل وضع تتخذه، أصبحت الأمور بائسة جميعها في ذروة الفقد والسعادة، يبحث الإنسان دائماً على وجهة أمان واحدة يستلذ بها وبنفسه في أي وقت تضيق به الحياة، اليوم جميعها اختفت، غير هناك في السماء رب يرانا وينظر إلى حالنا، راجين أن نصل إلى مسعانا، متيقنين حتى وأن قتلنا على أيدي الوحوش، سنكون شهداء، قتلنا بدمٍ بارداً دون أن نعرف ذنبنا، أي إنسان يصبح خالدًا في ذكرى كل من يعرفه وحتى من لا يعرفونه عندما يسمعون قصته، ويتردد على ألسنتهم، هناك شخصًا مات دون أن يعرف ذنبه، ولا حتى لماذا قتل؟، لم تعطي الحياة فرصة لسؤال الجاني على جريمته، هناك رب عادل يقتص من كل ظالم وإن طال ظلمه، مهما بنيت القصور، إذ كانت أرضها هشة، سيجرفها أضعف منسوب مياه، وستحركها أصغر الرياح المتعالية، من يبنى على دمٍ سيغرق في بحرٍ ذلك الدم، فكيف من قتل هذه الأعداد وأستمر في ذلك سياتي اليوم الذي يهلكون به، قد عمل لهم غسيل عقول من قبل أشخاص أكبر، خلال هذه الفترة فهمنا جيدًا لا تأتي الكلمة الكبيرة من محض صدفة، لا بد أن يكون هناك تخطيط مسبق، وهذا ما هم فعلوا، ربما كان الأمر

لسنوات سابقة كثر، لكن لم يلاحظ أحد ذلك إلى أن باتت المياه تتسرب بين أقدامنا لم يكن الواقع والتقريب كما يتضح في ورقةٍ وقلم تكتب ولا حتى في صورة تعرضها يشاهدها بعض الاشخاص الآن وينسوها في الغد، كان كل شيء أكبر من هذهِ الرسالة من يرى صديقه تخرج روحهُ بين يدية يختلف عن آخر يقرأ القصة في أي موقع بالكاد يتذكرها، القصة تختلف مشاعرها بين كاتبها و قارئها ، خرجنا في الساعةِ الواحدة منتصف الليل، الآن أصبحت الخامسة فجرًا بتوقيت عقولنا لسطوع الفجر، لكوننا لا نمتلك ساعة آخر مرة رأيناها كانت قبل شهور عندما كان الموسم مختلف في تلك الفترة التي اخذت هويتنا الحقيقية جعلتنا نعيش في هويةٍ زائفة، عندما كانت النسمات التي تخرج من هذهِ الأرض حارة تحرق الوجه الآن أصبحت تثلجه، لم نستوعب كل ما حدث كان واقعًا ، يقوم بتعذيبنا ونحن نريد أن نستيقظ من هذا الكابوس، كل ما يخطر في البال أنه مجرد حلم.

اقتربنا من ضوء لنيران مشتعلة، ويبدو هناك أصوات عالية جداً تخرج من جانبها، من ضحك بنبرة عالية وكلام لم نفهم منه شيء، سرنا بخطواتنا على اخف ما يمكن، لا نعلم هل هم منقذين أم قتلة، كانت هناك بعض الأشجار وقفنا في خلفها، صب نظري عليهم، كان الأمر اشبه بالتوقف اللحظي لزمن يريد أن يسعف نفسه، أنهم كانوا أشبه بيوسف

وصباح أنهم وحوش آخرين توسطوا في الطرق، بقينا صامدين هناك لساعات دون كلمة واحدة في اللسان أما العقل تحدث بما يستطيع، فالفكر لا يمسكه شيء، بعد أن أصبح الجو مشمس جداً ذهبوا من خلف تلك النيران، ونحن مختبئين في خرابة تظللها تلك الشجرة، لننظر إليهم بجميع حواسنا، لكي لا نفقد واحدة لتذهب معها حياتنا أسيرة إليهم وترجع إلى الجحيم الخالد، أصبحنا كثجة معلقة في الشبابيك، أصبحوا هكذا يعلقون الجثث ويكتبون لافتة آخرى بقرب الشهيد عليها عبارة، لقد خان الدولة الإسلامية، أي دولة بنيت على الأرواحِ الطاهرة، أي دولة تمسكت بعد أن خان أبنائها، أي دولة تتأسس بعد أن تسلب الأرض من أصحابها، ستهدم في النهاية ولن يجد لها أحد أثر أبداً، وتبقى تذكر في محركات غوغل وكتب التاريخ كدولة هزمت بعد أن حاولت سلب الأرض من أصحابها، تلك هي نهاية كل مستبد وظالم هي أن يذكر كشخصية مهزوزة وضعيفة، نحن نعلم جيدًا أن كل ظلم لا يدوم أبدًا ولا بد أن تأتي الحلقة الأخيرة لتحكم نهاية حكمه البائسة ويظهر على حقيقته ليكون العالم شاهدًا إن عدالة السماء والحياة موجودة مهما طالت سنين عجاف، القصص الخالدة في التاريخ القديم وإلى الآن تذكر في السنتنا، ذكرت أنبياء الله جميعهم رغم طول سنين واستمرار الطاغي والظالم في ظلمه إلا أن صبرهم ومقاومتهم واصرارهم على الحق كان نتيجته أهلاك الظالم ونجاح

رسالتهم الكونية ليبعثوا للعالم صدق ما يقولونه، دائمًا تكون تلك اللحظة المصيرية لانتصار الحق وأسقاط الباطل وأهله، إنها عدالة الكون، عندما يكون مصير من ساء الاندثار بكامل حكمه ومقامه تحت الأرض، كانت النتيجة نذكر الظالم إلا في وقت الأمثال أو القاء كلمات اللعن عليه لِما فعل قديمًا، فكيف الآن لا بد أن يأتي اليوم الذي لم يسمع عنهم أحد شيء غير الأمثال في التاريخ ستخلد بصمة العار على الخونة والأنذال ويذكر الأبطال الذين كان مصيرهم السقوط فقط لتبقى الأرض شامخة، كان ذلك يجول في مساحةِ أفكاري الواسعة حتى وإن انتهت حكايتنا ستبدأ حكاية اشخاص آخرين في أحد هذه الأماكن التي لم نعلم عنها شيء، عندما يظهر الضوء في وقتٍ ما ستبدأ كل القصص بالظهور للعالم لتتحدث بما لا تستطيع أن تنطقه الآن جميع مخاوفهم سجنت في ألسنتهم وعقولهم، كقصة مدينة حاربت الجميع لتحمي أرضها أو قصة شاب أصبحت جثته تمثالًا في الجسر لدفاعه عن وطنه، جميعها ستخلد لن تنساها أرواحنا يوماً، بعد أن تحركوا قليلًا عاد الحديث ليسود على ألسنتنا بعد أن غزاها الصمت العقابي، إيناس :

- أنا خائفة جدًا من هذه الحياة والاختبار الذي وضعنا فيه، أنا أعلم بخوفي هذا سأموت أو أكون سبب مشكلة لكم زهراء بدأت دموعها بالنزول والبكاء، إيناس أنتِ أختنا قبل أن تكوني

صديقتنا، لا يمكنك أن تقولي كل هذا الكلام، ما جعلنا نصبر إلى اليوم على وحشيتهم هو فقط وجودنا مع بعض ومساندتنا لبعض واتكاء أحدانا على الأخرى.

اختلف عندنا كل شيء، حيث أصبحت الحياة صغيرة، على أي ساعة يمكن أن تقتل إحدانا على أيديهم، الفرصة للعيش ضئيلة جداً، للاستمرار، والصبر والمقاومة، أنها خطوة الموت قبل الحياة، عندما تكون النهاية محكمة منذ الوهلة الأولى لكن لا يهمك أي شيء لتسير في مخافة عقلك وعدم أمان قلبك، الأرواح الواهية والمتحكمة تملئ هذه المناطق ، فلم يتبقى أي أمل أن تنجو رغم ذلك الاستمرار أفضل من الرجوع بما لا يقال من الكلام ولا يصفه الشعور، الجنون المتراكم ما هو إلا خطوة فعلية مبنية على حقيقة واقعية ومرئية للجميع ، بجهود مشتركة من قلوبنا قبل أقدامنا ، مشينا ما يعادل الأثنان كيلو متر بالتقدم وخلال تلك المسافة أمضيناها بالاختباء خلف كل مأمن، رغم وجود الناس في كل مكان إلا أنك تظن لست بالعراق ، الملابس الملثمة تشبه وجودك في العصور القديمة كما يظهر التاريخ في الكتب التي كنا ندرسها في المتوسطة، إلا أن لا روحيه هؤلاء الناس، من أخبر تلك المنظمة الإرهابية أن الحياة والتمسك بالإسلام والحفاظ على العقائد يكون بتلك الطريقة في الملابس المُمزقة أو في شعارات توضع على جميع الحيطان أو بقتل الطلاب في المدارس أو تهجير جميع

الطوائف من أراضيهم، من اخبرهم أن نعود إلى الزمن القديم بكتابة شعار الموت على حائطِ منزل بدمِ طفل من تلك العائلة، كانت تلك المناطق لا ندخلها أنما نمر عليها في طريقنا من بعيد عند الذهاب إلى الجامعة اليوم أتيحت لنا الفرصة للوقوف فيها أصبح كل شيء أشبه بفلمِ رعب تشاهدهُ في الشاشةِ بحضور جميع المشاركين في صناعةِ هذا الفلم لينتظروا تأثر المشاهد بفرح البطل ولا يتجرؤون على أخبارهم بعد دقائق سيتم قتله على يدِ الشرير رغم علمهم بكامل الحقيقة يوهمون انفسهم بالتأثر كأنهم لم يعرفوا ماذا يحصل؟ هذا ما كان يدور هنا الأمر أكبر من قضية مبسطة، تحكيها العقول أو يتمتم بها اللسان أحيانًا حتى العين لا تستطيع الرؤية الكاملة للحقيقة المبطنة، كان افراد التنظيم متوغلين بين جميع الناس العادية لا يمكنك أن تأخذ الأمان من أحد يبدو لك الجميع كاذب.

انزوينا في جانبِ منزل حتى نختفي بين الناس، في لحظةٍ غير مسبوقة مليئة بالرعب البشع حصل انفجار في ذات الشارع المجتمع به الناس، أتت سياراتهم مع اسلحتهم بأشكالهم المقرفة وشعرهم الطويل الذي لم تلمسه قطرات من الماء أبدًا، ليتكلموا بأعلى أصواتهم ونبرتها الوحشية كان جل ما يرددونه توقفوا ،لا أحد يتحرك من هنا حكمتم على انفسكم بالموت.

هناك مجموعة متطرفة في دولتكم هذه وعدة مجاميع مجرمة تسمى" بالحشد الشعبي " وغيره من مكافحة الإرهاب جميعها تحاول أن تقضي عليكم وتقتلكم، في المقابل أنتم تحموهم وتحاولوا مساعدتهم في الخفاء، نحن نعلم عن كل خطوة تقومون بها، بينكم توجد عناصرنا التي تبلغنا بكل شيء، اليوم مرور سبعة أشهر على الفتح الإسلامي عليكم، بعد أن حولناكم من شبه دولة غربية إلى دولة اسلامية تسير بكل عقلانية، عن أي جهل يتحدثون هؤلاء، لا يعلموا أنهم المجرمون الحق، لماذا الناس تستمع إليهم بكل أريحية ويرددون الهتافات من بعدهم، في أي حال نحن، لا أعلم متى يحصل كل هذا، يشبه أن تم ضخ مكينة كبيرة منومة للعقول تحت التنويم المغناطيسيّ ليضع الجميع في هذا الحال، الصمود دون المقاومة أم هو خوف الموت، كانتا زهراء وإيناس ممسكات بيداي يخبراني أن نسير ونستغل فرصة ازدحام الناس واصطفافهم حول هؤلاء، أما أنا كان في بالي كيف تحول الحال ليصل إلى هنا، أشبه خروجك من نفق لينتقل بك إلى السفر عبر الزمن، خطر في بالي ماذا يقصد بالحشد الشعبي، أخبرتُ البنات :

- سأذهب إلى الناس لأسالهم ماذا يقصد بتلك القوات ومن هم؟ تقدمت بعد أن بدأ الناس بالانسحاب من هذا الازدحام وذهاب سياراتهم، لنكلم أحد يساعدنا لنصل إلى قواتنا عسى أن تكون

عونًا لمخرجنا من هذهِ الدوامة اللامتناهية سنقوم بسؤالهم على معنى الحشد الشعبي هل هم بيننا؟ وهل سيقومون بإنقاذنا؟ لكن الأهم لمن أسأل وجميعهم مشكوك بأمرهم؟!

تهشم أسوار يبنى منذُ زمن ومن بيننا دون أن نعرفه ذلك يمنح الوهم حرية التحليق بعيدًا ليعيش بلحظةِ التصديق، ما يفعلونه الآن أنهم مثبتين على فكرتهم التي تكون عبارة عن أكذوبة رمزية رسمها أحد المتمردين والمتعطشين للدماء في عقولهم حتى باتت رمزًا يتمسكون به، حتى الطيور كانت تحلق وهي حزينة تريد أن تسترجع وطنها،

عندما يحيط ظلال طائر في الأعلى، يطلقون نيرانهم عليه، ذلك يشعرهم بالرهبة والخوف المستمر والموجود في داخلهم، يريدون إخفائه بالقتل واحصاء عدد الشهداء على أنه ضريبة انتصارهم واستمراريتهم، تقربنا من حاج كان كبير في السن جالس في زوايا الأفرع ظهر على شكله الخوف، كنا مرتدين العباءة مع النقاب، شعر بالاندهاش عندما سلمنا عليه وأبتعد، السلام عليكم يا عم: نحتاجك في أمر هام جداً، نحن لسنا من هذه المنطقة، ولا نعرف أحد هنا، بدأ وجهه شاحباً جداً، ولسانهُ جافًا، رأسه مصاب وملفوف عليه قطعة من القماش، منعاً للنزيف،

– وعليكم السلام، لماذا تقومون بألقاء السلام على الرجال، الدولة الإسلامية منعت كل ذلك على الفتياتِ.

- أذهبوا من هنا إذا، وجدكم أحد هنا وأنتم تقفون معي سيقوم بقتلنا جميعاً، اجعلوني أحيا في هدوء، عائلتي بانتظاري وهم يريدون أن أرجع ولدي إليهم، إيناس التي نعت نفسها قبل دقائق، وهي تحاول تهدئة العم الطاعن في السن،
- أين ولدك، على مهلك، لكن هل ولدك تم قتله مع الشباب قبل قليل، رأينا العديد من تم تعليق جثثهم حتى على المدارس،
- هل تنظرين إلى ذلك الشاب في العشرينات من عمره ذو اللحية المجعدة والطويلة، أسمر البشرة، يرتدي الكوفية، مع ملابس طويلة تصل إلى منتصف قدمه، أنه أبني، قاموا بوضعة هنا، ليراقب المارين بهذه الأحياء السكنية، ويخبرهم عنهم عمل معه صديقة وفي أحد المرات حاول أن لا يخبر أحد عن مجموعة جنود كانوا هنا لم يمر وقت طويل حتى علموا بفعلته فقاموا بقطع رقبته وتقديمها إلى أهله، جعلوه يعمل معهم، رغم أنه كان طالب في كلية الإدارة والاقتصاد، إلى الآن لم يستوعب ما جريمته وما الذي يفعله! أعطتهُ زهراء من بعض الماء الموجود في حقيبتها، لكي نكلمه، لعله يستطيع مساعدتنا مضى وقت طويل، ونحن لم نتحدث مع أحد يفهمنا أو يشبه لهجتنا التي نتحدث بها، يا عم

نحن نريدُ أن نسألك بعض الأسئلة القصيرة ونـذهب، وعـد أن لا نسبب لك المشاكل نحتاج المساعدة ،واقعون بمصيبة كبيرة جدًا،

- هل يمكنك أن تخبرنا عن معنى الحشد الشعبي؟ من هؤلاء ؟
- نحن نحتاج أن نتمسك بخيطٍ واحد يقوم بتخليصـنا مـن كـل هـذهِ العقد.
- كيف اثق بكم وكيف اخبركم عن الحق ومن هو الحق ؟
- لماذا قلت هكذا ؟هـل تقصـد بمـا يسـمونهم الحشـد الشـعبي، رد بلسانه المتردد جدًا ،يتضح أنه خائف من شيء ،لا اعرفه ماذا؟!
- لا تقولين هكذا ولا تذكرين هذا الاسم ،سيقضون عليكم.
- أنهم يعيشون في ظنون أنهم من العبودية الأنظمـة السياسـية لـذلك يفعلون كل هذا
- من تقصد بالضبط؟ هل تقصد الحشد؟
- لا لا، بسرعة، همس قليلاً، اقصد الدولة الأسلامية، أمـا الحشـد قولي عنهم فقط الحق كي لا تثيري الشبهات،
- يا عم، كلمنا بكل التفاصيل عسى أن يكون بوسـعنا التحريـر مـن هنا؛ اقترب ولدهُ تدريجيًا منا بعد أن كـان يتلقـى أتصـالًا ،لا بـد أنهم يبحثون عنا أو هناك من اخبرهم عن هروبنا ويجب أن يلقـوا القبض علينا، فما هي نظراته وهو يقترب إلا أن توحي بكـل هـذه

التأويلات ، كان ذلك تفسيري لطريقة مشيته ووضعيته وهو يتصل ويلتفت، كأنه اشتبه فينا،

- يا عم، ساعدنا ماذا نفعل، ربما اتصلوا عليه ليجدنا، نحن هربنا من عندهم، ساعدنا، طالبين منك هذه الخدمة، بعدها سنخبرك بكل شيء حدث معنا
- اختبئوا في هذا المحل للخردة القديمة، إلى أن أقوم بتشويشه، والكلام معه نهض من مكانه وظهر على شكله التعب، كان يتكئ على عصا صغيرة، ملابسهُ بالية جداً، الشيب أكل شعره بالكامل، هل هذا العمر أم أنه الألم، حالهم هنا أصبح أسوأ من حالنا، جميع الأفرع ملئت بالدماء كأنه عيد الالوان في دولٍ أخرى ، عندما تلون جميع الوجوه بالألوان الجميلة، وهم يحتفلون فرحين بمناسبتهم حيث لا يتخللها حزن والجميع سعداء ، إلا في العراق لونت الشوارع والوجوه باللون الأحمر فقط، والجميع يبدو على وجوههم الحزن، إلا القاتل سعيد، فلا يوجد غيره فرح بتلك الألوان.

ما هي إلا دماء شهداء زكية رفضت الظلم ووقفت مع الحق، ينظر إليك أحدهم بطل والأخر، يعتبرك خائن، لا يوجد من يخون أرضه وترابه غير شخص كان الخبث يسير في دمه، ووجد الفرصة القادمة حتى يستغلها،

وكانت هذه لحظة ثمينة جداً، عندما تشرع في حياتك، تختار أن يكون المنظور الروحي لحياتك شيء من النعيم الداخلي، حيث عليك الانتباه إلى الخارج مع منظور عقلك لتتيقن إلى الوصول ساعة السلامة العقلية، تنشأ في داخلك شبكة من العقد تبحث مُسرعاً كي تحاول فكها وإيجاد الحل المناسب، لا تريد أن تبقى على ذلك الوضع المُريب، حيث يحيطك غلاف مكور وأنت في المنتصف تتمنى أن تكسره لكن قدرتك ليست كافية لذلك،

يكون الوعي الظاهر حكم عليك تريد العودة إلى المطابقة التي فرضت من عقلك لكن تلك مجرد أمنيات فأنت اليوم ليس ما كان بالأمس، لا عليكم تلك أفكار تأتي في ذهني بين لحظات مشوشة يتوقف بي الزمن لأبدأ بصياغة عالم موازي وفيه قصة لم اعرفها أنا،

ربما تكون ماضي أو كوابيس تشكلت بهيئة واقع مرير، الحمد لله لا زالت الوظائف الجسمية تعمل، ولا زلنا نستطيع المقاومة أكثر لولا تلك النعم، لهزمنا منذُ شهر، عندما قاموا إيذانا بكل السبل، آثار الجروح والحروق من أعمالهم ترسمت في أشكالنا وعلى أجسامنا بصورة أسطورة لم تروى أفعالًا لا تنطلق، أنما تتشكل بهيئة إصابات مقيته، توضح للعلن، لا زالت يدي تؤلمني في كلِ مرة أحاولُ أن أمسك شيء ثقيل، في آخر مرة عندما قام بسحقها ذلك الوحش بقدمه، لكنني لا اكترث لهذا الأمر ولن انطق بألمي،

أمام صديقاتي لكي لا يتزعزع أمانهم، وضعوا كل ثقتهم بـي، متـأملين أن نجد مخرج الهاوية ونور النفق المظلم، لا يبدو أي شيء طبيعـي، كأنـك تحيا في مخيلة سوداوية الفكر، عنـدما يكـون العـالم مفعـم بالطاقـة لكنهـا ليست طاقة تجلب الـروح والسـعادة الحقيقيـة أنهـا سـلبية، تبعـث علـى القتل، والحزن، وارتكـاب المجـازر بكـل روحيـة بشـعة، فمـا هـي قصـة الإنسان عندما يعيش في داخلِ شعلة متوهجة لا يقـوم بإطفائهـا أنمـا يبقـى يتمنى ويدعو أن يخرج أحد ليجلب المياه ويخمدها.

ما فائدة الوجود دون السعي الحقيقي، اختبئنا خلف خردة قديمـة في هذا المحل التابع للعم الكبير، وصل إليه ولده بدأ يتحدث معه:

- أين ذهبن الفتيات؟!
- أي فتيات يا بني؟! أريدُ أن اكلمك عن والدتك،
- أترك والدتي في أي مكان بعثتهن،؟
- هل تسمعني مقر القيادة التابع لدولـة الأمـير يبحـث عـنهن منـذُ أيام، يملكن أسرار الدولة الإسلامية،
- أنهن عبارة عن مجموعة مخربة، أرسلوهن بـين الجنـود ليأخـذوا الأسرار وحاليًا هربن،
- تكلم هل هن من يقفن معك؟

- لا تتحدث هكذا، هؤلاء نساء، يملكن صلة قرابة مع والدتك، قدمن ليسألن عن حالها.
- لقد ذهبن قبل أن تأتي، ربما سيقومون بالمرور على منزلنا.
- إذا رأيتهن أخبرني وإلا تعلم أنني أستطيع أن أفعل أي شيء حتى قتلك! إذا علمت أنك قمت بمساعدتهن، سقط العم على الأرض يبكي بعد أن ذهب ولده،
- هل هذا ما يعلمونه لهم، لقد قاموا بغسل أدمغتهم من كل فكر صحيح ليجلس في محله الفكر الخاطئ، أظن تلك هي غايتهم، استهداف الشباب ليجعلوهم يتولون مهامهم القبيحة، وهم يجلسون على مائداتِ الطعام بكامل حرية كأنهم لم يفعلوا أي شيء، في أي وضع أصبحنا، حتى الابن يفعل كل هذا مع والده، وتغيره هكذا من نبرة صوت وحركة، وردة الفعل عندما حاول أن يضربه أيضاً، أليس ذلك منافي لكل خلق وفي جميع الأديان يكون من غضب الخالق أن تفعل مع والديك هكذا؟! أليس هم من يعتبرون أنفسهم على الدين!

كنتُ أتوهم وأنا تحدثت من قبل ورأيت بشاعة أفعالهم لماذا أربطها مع هذا الدين المسالم؟

نهض العم من مكانه وقدم إلى المحل، كان ينظر إلى الأمام كي لا يثير الشبهة، وتحدث معنا بهدوء وفي نبرتهِ حزنٍ يكسو تراكم المشاعر المنكسرة على أوقاتٍ متوالية كيف أن تطلب من قدم له الزمن خيبة كبيرة وشعور الهزيمة يتلعثم في لسانهِ من ولده وزمانه أن يساعدك، أشعرُ أنها معيبة، لكن آه، لم نمتلك أي حل آخر،

- عم قيس، دلنا على طريق نستطيع من خلاله النجاة، حتى وأن وصلنا إلى الموت، لأننا رأينا بما فيه الكفاية من لحظات الموت، أصبح الأمر روتين مستمر، لا نعلم متى يتوقف كل ذلك ومتى نجد باب التوقف والتحرر،

أبقوا هكذا في هذا المحل القديم، ستجدن غرفة في خلفه مهجورة، انتظروا فيها الليلة، وأنا سأعطيكم كل التفاصيل وأتكلم معكم عن الحق وعن كل شيء.

- إذا احتجتن الماء والطعام، فهذا يوجد في المحل احضرته لولدي من والدته التي تنتظره، لكنكم رأيتم ماذا فعل، وليس بوسعي أي حل.
- عليكم الانتباه وأنتم هنا، الدولة الإسلامية الذي أعنيه أنها تسمى "داعش " تقوم بجولة في الليل بجميع سياراتهم، أنهم يشكون في الجميع، لا أحد يؤتمن هنا.

- أنا إن كنت لم أرى جرمهم الحقيقي وأنظر بعيني البصيرة، لم أكن اليوم وفي هذهِ اللحظة أقوم بمساعدتكم، صمدنا في تلك الغرفة القديمة والمحل المغلق إلى أن حل الليل، دون أن نفعل أي حركة، خوفًا أن يقبضوا علينا في أي لحظة يسمعون الصوت، بكينا بدونِ أي صوت أهو بكاء من قلة الحيلة أم من انقطاع السبل فينا؟!

لا أعلم ماذا حصل في تلك اللحظات ولماذا بدأ كل شيء مميز بطريقة بشعة، يكون الأمر محكم بالمخالفات العقلية، وتبادلت الأحاديث بأحكام قوي دون انقطاع ودون اطلاق ترددات عالية للصوت.

هل تعلمون ماهي الأمور الصعبة؟ أن يكون الإنسان منغلق في نفسه من كل جهة، يقاوم ويستمر في العيش لكنهُ لا يعلم النتيجة ولا يعرف لماذا يستمر في كل هذا، يقينه التام الواحد أن يجد العوض بشكل مبهر، تفاصيل أن نجلس ونغلق على ذواتنا من كل حائط، وكأننا هاربين بتهمة السرقة أو حتى القتل ونخاف أن يتم اعتقالنا، تلك تهم المجرمين، لكن ماهي تهمة من يريد أرضه ويرفض الظلم،؟ يريد أن يعيش لحظاته بدونِ تلك التعقيدات المنحدرة للجحيم الأبدي.

تعيش في جحر مختبئ من شيء لا تعرفه أنت ما هو؟ إلى الآن نبحث لنعرف ما سبب وجود وحوش طاغية لتسكن أرضاً طاهرة، وزعزعة الأمان

من سكانها، عندما تكون نائم الليلة وأنت مطمئن تذهب، لعملك صباح الغد كالعادة دون الهروب ولا حتى يزور فكرك يدمر مستقبلك وحاضرك، ويأتي اليوم التالي لتجد نفسك تصبح قاتلًا بلحظةٍ غير متوقعة، ويسلب كل شيء تحبه في الفراغ الذي بين الأصابع، تلك سهولة أن يسحب منك كل شيء ببطء أو حتى بسرعة.

لمعرفة ماذا سيحصلون من كل ذلك؟! لا زال مستمر مع لحظة هروبنا من أجل أن تبقى الروح في الجسد، لنصل برسالتنا، لنعود إلى عوائلنا، لم يتضح أي شيء في النتيجة ألى الآن، كان كل شيء مضللاً شبيه بأن يقع غشاء على عينك، تحاول رسمه وترجمته إلى لغتك، لكنك لم تتعلم أي حرف من تلك اللغة.

الموسوعية الثقافية التي نعيش بها قبل هذه الحقبة المشؤومة، عند وصولنا إلى هنا كانت شيء جميل ليتحول إلى اشمئزاز مثير للشفقة، كانت طبيعتهم استحواذيه للتخلص من كل البشر الذين يملكون الضمير والإنسانية بطريقة الدعابات التي تتخذ الأرواح بصورة فعلية دون المزاح، هي حقيقتهم الظاهرة للعلن لكن ليس هناك من يرفع صوته، فالموت حتماً ملاقي، هذا الشيء الذي رفع راية الوضوح، أستمر المحل مقفل علينا لمدة ثلاث أيام، دون أن يأتي العم الكبير لإيضاح المواضيع التي تلخبطت علينا ، هذه الأيام لم يتبقى أي شيء من الطعام الذي يوجد عندنا وحتى الذي

كان في هذه الغرفة، انتهى والماء بدأ ينتهي، نأخذ استراحة لساعة واحدة كي ننام، واخرى تقوم بالحراسة، أصبحنا مجندين من ذواتنا، بقي الحال كما هو لمدة هذه الايام، أصبحت حتى مشاعرنا فاترة جداً، هل ننتظر الغد أم ندعو أن لا يحل علينا؟ كان من حزمة تساؤلاتي في عقلي لكن الغد الذي نتمنى أن لا يأتي! هناك مريض يحصل عليه بعد دعاء وأماني كثر، كأنه حصل على فرصةٍ جديدة للحياة، لماذا اليأس مبكراً؟! في كل وجهه يأخذها الشخص ينتظر فرصة جديدة، وآخر يريد أن يضيعها، هناك من تضيق به الحياة، ليتمنى أن لا يحل عليه اللحظة التي حددت مصيره، وتغلق كل السبل يميل الإنسان إلى اختيار المسار الذي يمكن أن يتحمله، لكنه عبارة عن غموض وتشكيلات رمزية لا أكثر، لأنه لا أحد يستطيع أن يختار نهايته المحزنة بيده إلا أن يكون فرضها عليه القدر .

تحتشد الدموع في عيوننا بغزارة ولن تسقط، كأنها تقول في قطراتها سأصمد معكم لا تخافوا، هناك أحد آخر متمسك يقف بجانبكم فما أنتم إلا واجهه للحقيقة، إذا قاومتم ستنتصر الحقيقة، أما هزيمتكم مبكرة جداً، ستمحي الحقيقة ولن تكون هناك قصة آخرى يتأمل منها من يحاول الخروج والوذ بنفسه، مكثنا نصبر بأنفسنا مرارًا وتكرارًا، دون أن نمل ونكل في اعادة جميع الكلمات، على ظهر يقين ووجه بطل قوي، أن تروي نهايتنا بماء يسقيها لحظة الفرح، زهراء، إيناس وأنا، ربما نحن

جزء مجزئ من آخرين في غير منزل كذلك يحاولون أن يصنعون آملا لنا، تبادل المشاعر والأحاسيس من أجمل الأشياء التي ينقذ بها الإنسان نفسه،

دقات الساعة تترنم في أذني بأسطورة قديمة تشبه نغمات حزينة لوالدة تنعى ولدها ،ذلك الهدوء الذي ساد علينا جعلني أتخيلها في هيئة غير وضوحها الحقيقي ، الحسرة التي تخرج مع أنفاسنا ليست إلا تراكم الوقت والآلام المستمرة، في هذه الليلة تذكرت أن لدي عائلة بعد أن سلب مني التفكير بكل شيء حاجتهم، أنا في شوقٍ كبير لأركض واسند رأسي في احضان أمي، آه يا رب ، أنقذني، جل ما اردده كان ذلك، فليس بمقدوري امساك الوقت، لكنني أستطيع أن اموت وأنا حرة، إيناس بان التعب واضح على مظهرها، فالتمسك بدأ بالانفلات من بين يديها هذه ضريبة أن لا تستسلم ذلك ما كانت ترده ربما تعطينا رسالة من كلامها الحزين لم يتبقى أي مخزون نستمد منه قوتنا غير وجودنا إلى جانب بعضنا، الدموع، الحزن، الأمل، الخذلان، الفقدان، الاستسلام، الهزيمة، المحاولة، السعي، كأنها جميعها أتضحت، بتسديد ضربة حرة على دواخلنا في اللعن والظلم، لا يوجد شباك لنرى منه ضوء القمر كما كنا نراه في مقر تنظيم الدولة الإسلامية أو مقر الإرهابيين وسكن أولئكَ الوحوش ، أنا ما يخطر لدي، كيف وثقنا بهذا العم، هل الغربة تجعلك أن تثق في أي أحد يتكلم بنفس طريقتك؟ ويعطيك قصة حزينة عنه، ماذا لو كان

عبارة عن مخيلة؟! ونحن نعلم أن المخيلة هي اكذوبة توهم بها نفسك من أجل أن تعيش لحظات، أما تكون حزينة أو سعيدة، تعكس ما يعاني منه داخلك، هل هذا الأمر فقط ما جعلنا أن نلتمس الأمان من شخص لا نعرفه، أم كانت ضربة ولده له هي أدعتنا للثقة؟ أم عندما اعطانا هذا المحل لنحمي انفسنا به هو حقيقة أيصال مشاعرنا لتتحول إلى ثقة عمياء غير مبنية على شيء، الثقة تبدو كأنها السجن الأكثر أمانًا في العالم، لا يمكن لأحد الهرب منه، حتى يدرك الأمر أردتُ أن أكلمها، اقصد إيناس، وضعت يدي على كتفها حاولت الكلمات أن تخرج من فمي لكن استنزاف الحيلة أصبح صعباً إذا تكلمت هل تتكلم؟ وإذا تكلمت هل تبكي؟ وإذا بكت هل تهوى اسيرة السلام لروحها؟ ماذا أفعل ؟كانت هناك أصوات تخرج من باب المحل، لا بد أن أحدهم قادم إلى هنا، أغلقنا ضوء الغرفة براحة اليد، وتجمعنا لنغطي بعضنا بأجساد بعض.

– يا أبنتي أنا قلة حيلتي، لا تعلمون شيء من الذي حدث معي.

الحال شل، والعافية فقدت، الأرض ارتوت بأرواح الأحبة، والسنين أعيدت تواريخها، النجوم اختفت من سمائي، القمر الآن عرفته عبارة عن حجر، أزيحت الدوائر عن محورها لأول مرة،

– شعور مخيف..

– يا عم، ما بكَ؟

- لماذا تتكلم بهذهِ الطريقة؟!
- عندما اتينا ورأيناك، كنت أنت أملنا
- أتريد أن نفقدك؟
- لأول مرة بعد غياب تلك الأشهر نتمسك بشيء، نثق بأحد، نتخيل النهاية المرسومة بضحكة صادقة .
- هل تريد أن يعود اليأس ليزورنا في كلِ مرة؟

لحظة صمت، تحدث فجوة في الفراغ، يمر الغبار من خلالها لصياغة أكبر عبرة يمكن أن تقتلك وتأخذ بك إلى الهاوية، لتموت ولن تجد البقعة التي يمكن أن تسد ذلك الفراغ، جميعنا نعيش فيه، لتسكن في داخلنا أحلامًا مهشمة، وقضية عالقة، وضحكة سرقت من فم اليتيم، جميعنا نسكن في هذا الفراغ ونبقى عالقين، مهما سعينا سنجد أن الحياة لا تشبهنا وهناك شيء مفقود لن تجده إلى آخرِ لحظة.

- زوجتي توفيت، في نفسِ اليوم الذي أمنت المحل ليحميكم من كل أذى، عندها أردتُ أن يذهب ولدي ليرى أمه كانت تنتظره على أملِ أن يحضنها لأخر مرة، أو أن يغطي عيناها.
- عدت لأخبرها أن ولدها رفض ذلك.
- كأن عيناها تحدثت قبل أن، أصل لأجدها تجمدت في مكانها دون تحقيق أمنيتها الأخيرة .

- أعلي أن اشعر بالندم، منذ ذلك اليوم وأنا أتشبث في كلِ مكان أنظرُ إلى أحدٍ ينادي والدته.
- في ذلك الزقاق المشؤوم كانت تنتظر عودته، أن يعيش أحلامه، يسعى لأجل حياة كريمة بدون أن تتلطخ يداه بدم بريء آخر، والدته تبكي على فراقهِ في كل ساعة من منتصف الليل وحلول الغروب.
- تعيش في عقلي وهي تطلب أن احضر ولدها، كلمات أخيرة لا أنساها، كل منا ينسى الحياة بأكملها حتى وأن أصابه الزهايمر لكنه لا ينسى آخر كلمة من شخص أحبه أو آخر أمنية لم يحققها، حتى آخر عمره، سيردد كل ذلك على لسانه، وحتى أن كان ليس له ذنب أنما ذنب الحياة، سيندم على شيء لا يملك قوة فيه، هكذا هم البشر جميعهم، خاصةً ومن كان يملك ضميراً ليعود ويعتذر، رغم لا ذنب له.

استمعت إلى كلامه، لأنظر إلى تلك الفئة الصغيرة من يملكون ضمير حي في وقتا هذا.

من يشعر بالذنب ويعود لتصحيح كل شيء، ذلك الشخص يكون أكثر حناناً وكأنه امتلك دائرة محيطة فيه مليئة بالحب الكافي، ربما هو خلقها لنفسه لتحاوطه، من يظن أن كلماته جرحت أشخاصاً أخرين، ويعود

لتقديم هدية من الاعتذار على شيء كان شعورياً يلامسه، هذا جزء من رحمة ربانية قذفت من السماء لتصيب قلبه اللطيف، اتمنى أن يزوركم الاطمئنان ويرأف بقلوبكم الأمان، يا من تحاولون الامساك حتى بكلماتكم قبل أن تنطق، أنتم جزء جوهري، ستخلدون في ذاكرة المشاعر المكبوتة. ركزت وعدت لأسئلة عن اسمه، ثم ترددت لماذا في هذا الوقت بأي حال هو؟ لماذا أصبحت لا انتبه لكلامي؟ هل ضرر المكان أثر، حتى على استيعابي؟! لكني بررت ذلك بأني اريد أن أناديه باسمه كي اتذكره ويحفظ في ذاكرتي ربما سيبقى خالد في أحد صفحات مذكراتي.

- عمو قيس، نطقتم اسمي في أول مرة هنا،
- عمو انتبه على نفسك في هذا الوقت يحتاج أن تعين عائلتك وليس أن تستسلم.
- عندما تريد أن تسقط، تذكر هناك أحد يرسم قصة أمل مرتبطة بك في مكانٍ أخر، ربما نحن أيضاً.
- عمو قيس، أنت لست ضعيف، أنظر إلى زهراء هي الوحيدة لوالدتها التي تنتظرها ولا نعلم حالها كيف الآن، ونحن مرت الفصول علينا هنا وجميع المناسبات دون سنين غيرها، نحتاج إلى حضن امهاتنا ونحن نعود إليهم، لكن السؤال الأهم هل سيعرفون

أشكالنا لو عدنا بهذا، الحال وهل سيستقبلوننا بعد أن يعلموا أننا بقينا كل تلك الشهور مع وحوش الغابة الصحراوية!!

- عمو، تمعن في هيئة إيناس وهي بدأت تفقد أنفاسها كأنها تريد أن تودعنا لكنها خائفة من ثقتنا فيها، وعليها أن تكون قوية لتصمد وتتحكم في كل شيء يدعوها للانهيار، تحاول أن تكون كشخص يقاوم بنفسه عن ساعة استسلامه لواقع مخيف دون مقاومته، هل تستطيع أن تنظر إلى شخص يأتي ليطلق النار عليك دون معرفتك السبب؟!

ذلك سبب المحاولة والمقاومة، عين شخص ينتظرك أن تستند عليه وآخر يريد أن يروي بطولتك، كيف أن لا تملك خيارات متعددة ويبقى واحد في وجهتك، حتماً اجتمعت الأقدار والأوقات لتخبرك أن لا مفر من محكمتك الواقعية، لكن جزء منك ضئيل أكتسب خبرة من كل ذلك الصبر حتى ازدادت المناعة.

- يا أبنتي، كانت تبتسم كل يوم وهي تقوم بتحضير الطعام له، ليذهب إلى جامعته، كأنها انتظرت لحظة تخرجه ليأتي إليها محملاً بقبعة التخرج ويضعها على رأسها، منذُ دخولهم إلى منازلنا قاموا بأخذ كل الأحلام وزراعتها في القاع ليتعذر العثور عليها حتى وأن مر الزمن ستغرق وأنت تحاول أن تجدها، متأملاً

أن ينقذك أحد أو تنقلب الأقدار أو يموت الظالم، هذه معية أن تقرر الصمود الداخلي وتختار أن يعيش معك، واليوم ماذا حصل، جعلها تموت في خيبةٍ، كأنك قتلت ألآف الابرياء وهم أحياء.

- أريدُ أن يعيدون ولدي لي، ماذا اتمنى من الحياة؟.
- أما أن تأخذني التربة لتنشر رماد عظامي في طينها أو أن تعيد لي ولدي نادماً باكياً يزور والدته ويطلب عفوها، هذهِ اصبحت صفقة العمر الخاصة بي، لكني أعرفُ أن الخيار الثاني غير متاح لذلك أصبحت انتظر الأول يتم.

أنا كان تمسكي بهذهِ الحياة من أجلها فقط، لكن هذه النتيجة دعتني حتى اباشر في الظلام البائس، كاد الفجر أن يحل علينا في تلك الليلة وشقشق العصفور في صوته، حتى تعالت وغرقت المدينة بجميع سكانها، تلك الساعة المأساوية التي قامت بتدميرنا، عندما دخلوا إلى منازلنا بدونِ سابق انذار توطّأ خائنين الدم والأرض معهم ليذهب من لم يعلم أي صبح سيشرق عليه، لتحل الفوضى وترتفع أصوات الإيقاع بشكل مؤلم حزينة على أرواح جثث لم تتيقن أن تكون هكذا نهايتها.

- انتظر عمو قيس، من هم الحق الذي قلت عنهم في أول يوم رأيناك.
- لماذا لم يساعدوكم؟

- هل وصلوا إليكم وأنتم بين هؤلاء؟ اندفعتُ بركامٍ من الأسئلة دفعة واحدة، لأنني كنتُ انتظره من أجل هذه اللحظة، لا بد لي أن اجد بوابة تعبر بنا إلى زمننا الحقيقي بدون تلك المخالفات جميعها، يفعل ذلك من يبحث عن خيط يمسكه ليعبر البوابة الزمنية المؤذية.
- أنهم أشبه بخلق جديد، بعثهم الله لمساندة كل أخ لهم ومن أرضهم، تعقدت عليه الأمور وخابت به الظنون، هكذا هم، أمانًا في لحظة الفقدان وصبراً في لحظة الصمود، مجموعة من الناس خرجت من كل بيت عراقي فرداً أو أثنين، أما أن يعود لمنزله سالمًا أو محملًا في تابوتٍ على الأكتاف أو ينقل بيد واحدة وأحيانًا برأس فقط تعود جثثهم، رغم كل هذا، استمروا في التدفق كأمواج الماء التي تود أن تغرق مكانًا مليء بالإثم.
- عمو، ما الذي فعلوه، هل، يساعدوننا؟
- أنهم قوة لكل رجال الأمن الآخرين من العساكر، وسند للمدنيين الضعفاء.
- ماذا يسمونهم؟ اتذكر أنك قلت اسماً، لقد نسيته.
- الحشد الشعبي، هذا، هو اسم أولئكَ الأبطال المحاربين.
- لماذا سموهم بهذا الاسم؟

- آه لماذا اسأل الآن؟ هل أنا في وضعٍ يسمح لي بكلِ هذه الأسئلة؟!
- لأنهم احتشدوا من المنازل، بدون معسكرات تدريبية ولا سنين دراسة، أنهم مواطنين عاديين من بيننا، منهم المهندس والمدرس والمعلم والعامل من جميع الوظائف اجتمعوا ليكونوا يدًا واحدة، من أجل ماذا؟
- من أجل التخلص من هذهِ الدولة الخبيثة، الدولة الإسلامية الشنيعة على أي أساس، اطلقوا تلك التسمية، الأهم أنهم قوة ايادي بلد كامل تجمعت في واحدة للاتحاد ضد من يسبب لهم السوء،
- يشبهون ظهور الشمس بعد أن سقطت الامطار لأسبوعٍ كامل وتمنى الجميع حضورها فالجميع غرقوا، قوماً اصابتهم رعشة القوة والغيرة الجذرية من عمقهم الأصلي ليأتوا محملين بملامحِ الشهامة التي لا تخاف التردد، يعلم أن الموت مرحب به في أي لحظة لكنه اختار الموت شريفاً وليس جبانًا مُترددًا في أي لحظة.

يعلم أنه قد لا يعود لأهله وأن أي ثانية من حياته يمكن أن تكون الخاتمة، عيون أطفاله أو والدته سيكون ألقى السلام عليهم آخر مرة قبل أن يأتي إلى هذهِ الساحة.

كل منهم ترك خلفه قصة لم تكتب ولم يعرفها أحد سيأتي النور ذات يوم ليطيل النظر إلى ما خلفوا في هذهِ الأرض فلا يمكن أن يموت الحق يوماً مهما طال زمان الظلم، ذلك ما فعلوه أطلقوا عليهم هذهِ التسمية وهي "الحشد الشعبي " .

- أما بيننا نحن نسميهم الحق خوفا أن يسمعنا أي أحد من عناصر التنظيم لتكون النهاية قبل أن تبدأ البداية،

نسميهم هكذا لأنهم من اجتمعوا ليدافعوا عن كل فرد فينا.

- قبل أسبوع تقريباً من مجيئكم، كانت هناك مجموعة من الشباب اقصد عناصر "الحق "لم نعرفهم نحن توزعوا بيننا قاموا بقتل العديد من التنظيم ليجعلوهم أن يشعروا بأنه اهتزت الأرض التي لم تكن لهم ستكون غير أمنة وعلى أي لحظة تعود لسكانها،

وقاموا بتحرير العديد من المعتقلين وتهريبهم بطرقهم الخاصة، امسكوا شخصين منهم، قاموا بتعليق جثثهم في الشوارع ولكن رغم ذلك بقيت رؤوسهم شامخة كأنهم كانوا يعلمون بأن كل ذلك سيحدث وربحوا التجارة التي جاءوا عليها.

تلك دائماً طريقة الأبطال لإذلال العدو، تنظر الهيبة تكون في عيونهم إلى الآن إذا ألقى بكم الطريق بتلك الشوارع ستنظرون إلى جثثهم لم يتجرأ

أحد أن يصلها لينزلهم من تلك المباني، كانت ابتسامتهم تعلو الخد، يشبهون شخصًا رأى مصير الظالم ليضحك عليه رغم مرارة حالته.

- حل الفجر، أظنهم سيبدؤون بالانتشار لو لا هذا لكنت كلمتهم أكثر عن هؤلاء الأبطال، لم يتطلب الأمر غير قرار واحد لتغيير مجريات الحياة.
- أما أنا لم يتبقى لي أي شيء، سأقوم بمساندتكم في أي خطوة لتصلوا إلى برِ الأمان وتعودوا إلى عوائلكم.
- انتظر انتظر يا عم قيس، هل قام أحد من هنا بخيانتهم أو الإبلاغ عنهم ليجعلهم بهذا المكان وجثاميهم تبتسم للأخرين بانتصار، لم اتركه ليكمل حديثه كان يثير فضولي حول من أوصلهم إلى هنا وكيف دخلوا أو حتى من الذي ساعدهم بقتلهم، هل من تكون له عوناً يكون لك عدواً؟

هل يموت الإنسان وفي قلبهِ ألم من لا يعرف قيمته ولا يقدر المجهود الذي بذله في سبيله؟ أيمكن لأحد ما أن يفعل ذلك؟

- نعم، الأمر لا يحتاج أن يخفى هناك العديد بيننا من يقومون بتبجيل كل الشر، وقلة من تعرف الحقيقة وتدرك حالها قبل فوات الأوان حيث يعيش وهو يلكزه شعور خفي بتلك الحالة من التبجيل دون أن يعي مدى ضرر ما يفعله،

- عمو، أحياناً كثيرة يشك المرء حتى بنفسه، فكيف الحال ونحن في ضلِ دائرة مظلمة، حتى لوقع الإبرة يمكن أن يصلك طرق غير موفقة، الأمر يحتاج إلى دقة في كل شيء أشبه بدخولك إلى غرفة العمليات ومدى قدرة طبيب التخدير على أنجازه في هذه الحالة، الكثير من لا يعرف ما يفعلونه؟ بالضبط، لكنهم يعملون خلف الكواليس في تلك الغرف المظلمة التي تصنع الأبطال عندما تطفأ الأنوار وتكون يدا واحدة على شخصٍ واحد،
- هذا حالهم، كل واحد فينا بطلاً، ذات يوم سيعلم الناس عند وفاته ماذا كان، أما وأنت حي ما حالك غير أن تكون شيء رمزي، أما الموت يجعلك أسطورة،
- جميعنا نعلم أنهم هم الفائزين، لكن لا أحد يتجرأ على قولِ الحقيقة لم يفهم شخص معنى تلك الابتسامة الشجاعة في ظل حربٍ دموية، جميعنا نعلم أن كل فرد من ابناء هذا البلد كانوا قوة له لتلك الاسباب لم يسقط يومًا حتى وأن طال زمان الجرح والكسر والفقدان والخسائر المتعددة، سينهض حتمًا من جديد، لتجدنا بحله جديدة، ابتسامة أمل تكسر أنوف الأعداء هكذا نحن، نشبه أول احرف من كلمات حب وحنين بعد ساعات من الغضب، لتلقي تعويذة الأمان، تجد الجميع يدعوا أن لا تختفي

تلك الضحكات، في كلِ مناسبة تكون الأمنية أن يعم الأمان، عراقيون نحن، نصبر و نتكئ على انفسنا، كما قال الشاعر العراقي المخضرم محمد مهدي الجواهري "يعزّ عليّ أن أكسر عين العراق لأنّ عين العراق لا تُكسَر أبداً "كذلك ما ذكره عبد الرزاق عبد الواحد في ابياته وهو يقول: يا سيّدي.. يا عراق الأرض.. يا وطني يا زهوَ عمريَ مُذْ رنّتْ جلاجيلي ومُذْ درَجتُ ولي طوقٌ أُدحرجُهُ وصوتُ أُمّيَ من خلفي يُغنّي لي هل فاتَنا العمرُ حتى صار يُخجلنا هذا التّذكُّرُ حتى في الأقاويلِ؟ أم أنّني يا عراقَ الأرض يُحرجني أمام كِبْرِكَ خَوضي في تَفاصيلي؟ وكيف أكتبُ شعري فيك يا وطني إن لم يكنْ كلُّ عمري فيك يوحي لي؟ هذه الكلمات توحي لنا مدى حب كل فرد فينا لهذهِ الأرض حتى وأن أخذت منا ابنائنا، فكم شخصٍ من بيننا فقد والده، أبنه، حفيده، لأجل ماذا؟! أن يحمي ابناء هذهِ الأرض الآخرين، تحركت في داخلي مشاعر الروح الوطنية لأتكلم بكل هذا واخرج في حديثي عن كل شيء، ربما اللحظة المناسبة والوقت المناسب التي دائمًا نذكرها في أحاديثنا عن أي شيء، شعرت بها الآن عندما تكلمت عن شيء يستحق أن يفتح السرد عنه في الوقت والمكان المناسبين تمامًا، يبدو لي شعور جيد رغم الاضطراب.

- نحتاج منهم المساعدة يا عم، هل سيقومون بمساعدتنا؟
- أتقصدون الحق؟
- نعم ،هم يساعدون الجميع حتى من يكرهوهم، الأهم الهوية تنك ابن العراق وبحاجة إلى عون، يكفي تلك النقطة الواحدة.

كيف يمكنك أن تتواصل مع أحد؟

- هل تعرف شخص من بينكم، يمكن أن يصل إليهم؟
- هناك أحد، لا يمكنني أن أكشف عنهُ في هذهِ اللحظة .
- أنتم تعلمون، لا يمكن الوثوق في هكذا مسألة حساسة جداً.
- لكنني سأساندكم حتى النهاية، لا تقلقون أبداً.
- أأنت واثق من هذا الكلام يا عم قيس؟
- أنت تعرف هذه الخطوة صعبة جداً.
- الوقوف في وجوه هؤلاء وولدك أحدهم، أنه امر غاية في المخاطرة والقوة.
- يا أبنتي، لم يتبقى هناك شيء لأخسره؟
- عندما تخسر أخر أمل تبقى لديك، تبقى تسير كالأعمى الذي فقد بصيرته وليس بصره.
- ما يجعلني لكم الآن، هو أنني أعلم أنكم ستصلون في الأخير،

- الحقيقة الأخرى، هي أن هناك دافع تحرك في داخلي جعلني أفعل كل هذا،
- ما هو هذا الدافع، أيمكن أن نعرفه؟
- في اللحظة المناسبة، ستعرفون بالتأكيد.

ما كان يحكى عندي، ما هو هذا الدافع، الذي يجعل الشخص يمكن أن يضحي بنفسه لمساعدة آخر، وحتى أن يكون في الطرف، المضاد لولده، هل يعقل أن تعمى العين اليمنى على اليسرى من شدة الألم؟ توضح لي ذلك من خلال مساعدة عمو قيس لنا، بعد أن توفيت زوجته أصبح مكسوراً،

مشاعر سيئة جداً تلاحقك حتى تسحب منك أشياء جميلة كانت في يدك، شعور سيء أن يكون دائماً ما يصبح من احساسيك حقيقة، اعتقد أن الأمر يتعلق بالأيمان التام، في ذلك اليوم عندما رأينا عمو قيس لأول مرة كان يتضح في شكله أنه يعرف سيحصل لزوجته شيء، ذلك دعاه حتى يأتي ليتوسل بولده رغم قيام الآخر بضربه وإهانته بتلك الطريقة الشنيعة.

- عمو قيس لننهي كل ذلك، وأعطنا نتيجة وخطة نكمل عليها.
- الوقت ينفذ، لا شيء يمكن أن يكون بطاقة العبور.
- أملنا بك، ألقيت بنظرة على يدي، أنها ترتعش، أوهمت نفسي أن الجو بارد جداً وكان هذا السبب، لكنني على يقين في داخلي

أن ذلك الارتجاف الموهوم كان حقيقة ناتجة من فكرة التخلي، عدم الأمان، وفقد السند، في هكذا وقت يكاد الموت أن يلقي سلامه عليك ضاحكًا لما تعتقدهُ أنت، بعثت الإيعاز من عقلي الملثم بالأفكار إلى لساني ليصيغه بهيئة أسئلة كسابقته لكن هذهِ المرة شعور الخوف يطغى عليها، أن لا تجد أحد يأمنك ذلك صعبٌ جداً، يمد يده لتتمسك بها وتعبر إلى الطرف الأخر، شيء له مناورات، أغلب الأشياء يصيغها الكون، لكن في هذا الأمر يجب أن نرسمها نحن.

كانتا زهراء وإيناس، يتحدثن بأشياء لم اسمعها أنا، فنظري موجه إليهم لكن عقلي يردد كلام ويبني له قصص، فلا زال انتباهي مشتت عنهم، هكذا أنا، إذا كان الحديث يتطلب أن أفكر، سأغوص في حزمة أفكاري، لأجد أني عبرت محطات بعيدة دون نتيجة واضحة ومريحة، صمت عمو قيس، لا أعرف بماذا يفكر لكنني أعلم أن باله كان مع أسئلتي لابد أنه يفكر في جوابٍ منطقي يصدقه العقل ليكلمني به، وجدني في حالة تغلب على امري الشك، حتى اضحيت لا أصدق نفسي.

- عمو أنا أعلم أنكم ستخرجون من هنا، لكن هل أعرف متى وكيف؟، ذلك شيء ليس بيدي، ولا حيلة لي به، هل تريدون مني أن أعلم الغيب؟!

- فكيف ذلك؟
- أبنتي، أمراً هامًا كهذا، يحتاج قرار صح وخطوة صحيحة، أن تجتمع الأيادي لتكون بقوة واحدة اسمعوا جيدًا... بينما يتحدث عمو قيس ليكمل، انهارت إيناس بالبكاء، اقتربنا لنحتضنها حتى لا تخرج الاصوات العالية، يصمد الإنسان لسنوات وينهار في أجزاء الثانية هذا حالها، لطالما تخاف الاستمرار، ومن منا لا يخاف بعد أن مر بكل ذلك! أنه من المعجزة أن تبقى حي إلى الآن، تهدأ روعك في نفسك، مبهر جداً، تريد أن تجلس في الهامش حيث لا ينظر إليك أحد أو يقوم بالتماس القوة منك، لكنك لا تستطيع، أنت الآن واجهة لعائلتك التي تنتظرك، أنت واجهة لمقدار قوتك التي تكون نتائجها الآن في هذه الأوضاع الصعبة وشبه المستحيل الفرار منها، كل صوت يصبح هدية وجرعة طاقة تخبرك أنت في الواقع الذي لا مفر منه، صرخة روان وهي تردد (أريد أن تعرفوا أن انفسكم أهم من أي شيء آخر في الكون)..(أخوات لي في الحب، هناك عوائل تنتظركم أن تأتوا إليهم).. يا لها من كلمات تهز مشاعر الانتصار في ما يخالجك، قبل أن يحين الوقت، تشعر أن الأشياء مؤهلة لتكون رابح الحرب.

- إيناس، هل تعلمين أن ترددك وخوفك المستمر هذا، سيفعل لنا أشياء توقعنا في مشاكل لا هروب منها.
- إيناس هل تريدين الرجوع إلى عائلتك؟
- نعم أريد، أنا أريدُ ذلك، هل تريدين أن تكوني بطلة لأخريات ييأسن من هذه الحالة و كانت النتيجة البحث عن خيار الانتحار؟
- نعم، أريد لكن أنا خائفة من الوصول ومن الاستمرار، زهراء أيضاً خائفة، وأنا خائفة، عمو قيس خائف، لا تظنين ذلك وحدك من يعيش هذه التخبطات، نحن في قوقعة مسمومة، النفس الواحد يغير الكثير.
- عمو، إيناس، أنت في وقت الآن لا يريد منك التساهل ولا حتى تلك الرجفة وهي تطقطق بين أصابعك، تريدك وأنت بكامل قوتك، لا زال هناك الكثير حتى الخروج، السير يساعدك أم أنتِ تساعدينه، يذهب المرء مع ما يعينه في رحلته، كوني لصديقاتك عونًا لا يخيب.
- إيناس، أنا زهراء أنتِ أكثر من يعرف أني كنتُ على طول ذلك الوقت يائسة أما الآن أنا تسلحت بالصبر، لا تتناغي بأصوات

الاستسلام، ذلك كل شيء يتمناه العدو، أن يجدك وانحنى رأسك لكل ظلامه.

- أنتِ تعلمين أن موت روان، لحظة، الأصح لحظة استشهادها، كانت هي الحاسمة لتعيد لنا الآمال لنقاوم.
- لا تخافوا يا فتيات، أنا كل الذي يهمني، أخافُ أن تترددي و مخاوفي تكون عقبة في طريقكم، أخافُ أن مرضي سيزيد الحمل عليكم، أخافُ أن في لحظة خطرة ستضطرون لتحمل كل شيء بسببي.
- أنا لا أهتم لنفسي، كل ما يهمني أنتم، لا تعرفون شيء عني، كانت صداقتنا في الطريق هي الوحيدة التي جمعتنا، رغم ذلك أسندتموني لهذه اللحظة، مريم لا انسى أنكِ عندما أراد أن يضربني الوحوش أبو عزام في ذلك اليوم أنتِ وقفتي ضده وتحملتِ الضرب عني، فكيف لي الآن أن أكون ضعفكم.
- إيناس، يجب أن تعرفي جيدًا أن الصداقة لا يقيسها الزمن، موقف واحد يمكن أن يصنع لك صديق أشبه بالسند الدائم، وأنتِ كنت كذلك، بقينا نردد معها كل ذلك الكلام لأجل ماذا؟ لأجل أن تقتنع أنها جزء كامل منا، كأعضاء الجسد الواحد لا يمكن لأحدهم أن يتخلى عن الأخر تلك الشهور التي أبقتنا سوية جعلتنا

نفهم المعنى الأكبر للعائلة، كنا نعيش شعور ونحن بين عائلتنا جالسين تريد أن ترحل لكنك لا تستطيع شيء ما يمنعك، ربما هو الحب، تعلمنا معنى أن تكون صديقًا صدوق، معنى أن المشاعر لا يتحكم بها لا اختلاف في المعتقدات، ولا الأديان، ولا المناطق، ولا المسافات، ذلك جعلنا نعيشه بعد نظرات روان وهي متمددة على الأرض والتراب يعبث بشعرها ذو اللون الأشقر، تلك لحظات غيرتنا بالكامل وأعادت ترتيب كل شيء، الصداقة التي تكون عبارة عن رحلة، ستجد فيها أشياء عجيبة كأنها تهيأت لتكون في موسوعتك، اغتنمت ثواني الصمت أمسكت بيدها، بكت وعانقتني بشدة، كأنها احتاجت فقط تلك الكلمات حتى تزيل عنها كل هم، إيناس فتاة جميلة تحمل مشاعر الطفولة والكبر في قلبها، أنا أحببتها في هذه الأشهر، أصبحنا أخوة قبل الصداقة وهذا ما يفعله مدى الزمن والموقف والحالة التي تتعرف فيها على شخصٍ جديد في حياتك، رأيت منها جانب جديد، كان كل تلك الأشهر قبل هذه الحالة التي وقعنا بها، تذهب معنا، لكنها دائماً كانت منعزلة ولا تتحدث مع أحد، مع ذلك لم أرى منها شيء سيء كانت دائماً حنينه وتحب المساعدة، لكن بعد هذه الفترة الزمنية علمت شخصها الجميل، أتمنى أن يمحي كل هذا من

ذاكرتها وتعود إلى منزلها بسلام، حضن دافئ، كلمات مخففة، لحظة أمان، هذا اقصى ما يحتاجه الشخص في هكذا حال، لكن العديد يخبرك أنه لا يستطيع أن يتعامل مع شخص في وضعية تشبه هذه، زهراء ابتسمت وهي تنظر إلينا.

- اتركونا في هذه اللحظة لنعيشها بالكامل.
- آه، ماذا لو نحن الآن في منازلنا، لكن ذلك غير مهم الآن يجب أن لا نفكر هكذا، نحن بالكامل عائلة واحدة، نستطيع أن نتخطى كل شيء سوية.
- هذا الذي أردتُ أن اسمعه منك من بداية الرحلة.
- أنه كلام يثلج الصدر، أليس كذلك يا عم قيس؟
- نعم يا أبنتي، أتمنى أن كان ولدي هكذا مثلكم، وأن لا يخون بلده وأهله، سعى بنفسه إلى الجحيم الخالد.
- حسنًا، انسوا كل ذلك، لنتحدث عن طريقة خروجكم من هنا.
- أيمكنكم أن تبقوا هذه الليلة أيضًا.
- في الساعة الثانية عشر من منتصف الليل، سآتي إليكم بأحد يساعدكم.
- لكن يا عم، كيف تستطيع أن تتواصل معه؟
- ألا تعلم أن هؤلاء سيعرفون كل شيء؟

- لا تخافي، أنه أحد بيننا كان من أصدقاء ولدي، طلب منه أن ينضم إلى الدولة الإسلامية ولكنه قام بالرفض، وبدأ يختبأ، إلا أني علمت من والده أنه ذهب لينضم إلى "الحشد الشعبي " تمنيتُ إن كان ابني هكذا، لينال تلك المنزلة التي ترفعه وهو حي وحتى عند الموت، لكنكم تعلمون ماذا اختار! اختار الشر بكل برودة قلب، في هذه الساعة الأخيرة من الفجر نحن نعيد حساباتنا، كي نجد المفر، بعد أن تكلم عمو قيس في كل شيء، ذهب بهدوء وهو يهمس في نفسه، "سأعود إليكم" "سأجد من ينقذكم " "لا اريدكم تصبحوا مثل ولدي" كان شعورنا يلامس الاطمئنان والخوف، لا يحتاج الوضع إلى التوقف أكثر من ذلك، نحن الآن بحاجة إلى التحرك، كلما تقدم الوقت تصعب الحالة التي نستطيع أن نتجاوزها ونحن نعيش في محور بين تنظيم إرهابي كامل يريد أن يسيطر ليأخذ كل هذه المدن إلى صفهم وينشرون أفكارهم المدمرة بين الجميع، فبدأوا يجرون الأطفال ويقومون بتعليمهم تعاليم غريبة خلقوها بأنفسهم، لتحل محل الكتب التي هي علم الطالب ومنبعه للتفوق، اصبحوا يدربونهم على السلاح ومدارس خاصة بهذا الشيء، بدل من دروس الرياضة التي كانوا معتادين عليها، تغير كل شيء ليصبح إشعاع سام

مؤذي يصعب التواجد في ذات المكان وبين الوحوش الجائعة، المتاجرة بالأعضاء هي سبيلهم للعيش، استغلال الضعفاء ليتسلقوا سلم الظالم الطاغي الذي يرهب الجميع كان متعتهم، الأمر ليس بحكاية بسيطة، اتفق الجميع على مصادرة الأرواح والعلم والثقافة والأدب والشباب والأطفال، كأنه الجميع وضع يده ليتفق على الخسارة، حتى الآثار القديمة قاموا بقصفها وتدميرها وهي رمز الحضارة القديمة لبلد عريق، كل تاريخنا في مدينتنا هذه تحطم نحن الآن في الموصل في الجانب الأيسر منها هم قالوا هكذا اسمعهم في حديثهم عندما كنا نعمل عندهم، إنها كانت أيام وأشهر الحكم بالإعدام علينا في تلك الثواني الصعبة المستمرة انتهت حياتنا عندها، لم تعود إلينا إلا عند استشهاد روان ،عرفنا في لحظتها أننا لسنا بهذا الضعف، لا أعرف كيف ساقتنا الحياة إلى هذه التربة، لكن يمكن للزمان أن يفعل كل شيء، لنقف في محافظة كانت عبارة عن مدينة أثرية قديمة واليوم أصبحتُ أرى مدينة مهزومة ومنهارة بالكامل ، من غير الآثار التي تم تفجيرها فقط ليقضوا على تاريخ أرضنا، لا أعلم في الحقيقة هل ستذهب كل هذه العتمة السوداء عن مدينتنا ؟

وهل سنبقى نحن أحياء إلى وقتها ؟ لكن ينبع من قلبي شعور اليقين أن هناك نهاية جديدة ستكتب في التاريخ غير التي يتوقعها الاعداء ليصابوا بخيبة أمل على وجوههم وفي كل قوتهم الرمزية الكاذبة، آه لقد تخيلت كل هذا من احساسي فقط، وذهبتُ بعيدًا فيه محلقة بأحلام لانعرف كيف تنتهي قصتها، لا يمكن أن ادخل بعمق الشعور، لأنه الخيبة في المنتصف تكون أسهل مما تأتي في نهاية المطاف، عندها يصعب عليك التقبل ويكون وقت التعافي طويلًا جداً، علينا أن نضع خيار الخسارة مع خيار النجاح لكي لا نصيب بأحلامنا، أن تكون إيجابيًا طول الوقت شيء ممتع ويأخذك إلى مجريات كبيرة وناجحة لكن أن تضيف له صيغة جديدة وهي، "ماذا لو لم يتحقق ما نريده، سنفعل هذا الشيء بدلًا عنه" ستكون عبارة مطمئنة نوعًا ما وتساعدك على تقليل الضغط والتوتر الذي يرادوك بشأن النتيجة، حل الليل ودخل عمو قيس علينا مع بعض الأكل والماء، قام بوضعه في حقائبنا ورتبها، التمستُ به حنان الأب وتضحية الأم، سبحان الله كيف ساق إلينا القدر هذا الشخص، أنها نهاية الوداع مع هذا المحل والغرفة التي تشبه القبو، ستكون لنا ذكريات أن بقينا أحياء لنرويها لغيرنا، صنعت قصة من بين هذه الجدران الحزينة.

بـدأت انطلاقـة صـعبة لطـرق أصـعب، كانـت لحظـة التخلـي عـن الاستسلام نابعة من هذه الأرض وبتلك الروح الطيبة التي خلقت لتصادفنا في ذلك اليوم.

- عمو، سأقوم بتوصيلكم إلى المنقذ الذي سيتولى مساعدتكم .
- كيف بعناصر التنظيم؟
- لا تخافوا، أنا في هـذه المحلـة مـا يقـارب ثلاثـين سـنة، أعـرف الطرق أكثر منهم .
- سيكون هناك مختصر، وطريق لا يوجد به هؤلاء.

اندهشت، أن كان يعرفهم لماذا لم يحاول الخروج كي ينقذ نفسه وعائلتـه؟ ويبقى يتأرجح وهو غير مطمئن، تبقى الأمواج العاتية تزحـزح بحياتـه دون أنقاد، سألته حتى لا يتبقى شيء يجول محلـق بفكـري وأنـا معتـادة علـى ذلك، لطالما كان من صفاتي أن أدخل في أفكـاري وأفكـار الآخـرين، حتـى يمكن أن أصل إلى عمق أحلامهم.

- عمو، ليس كل من يعرف الطريق، يستطيع أن يصل إلى الخروج.
- أنا قمت بمساعدة غيري أكثر، لكنني لم أساعد نفسي أبداً.

قال هذه الكلمات وهو في داخله حسرة كبيرة على شيء ربما أعرفه أنـا، لا يمكن أن ادخل معه في أسئلة جديدة، يبدو عليه التعب الشديد.

أمسك بعصاه التي رأينها في أول مرة عنده، وقام بالإشارة إلى حقائبنا لنرفعها، لنبدأ مسيرة جديدة بخوف أصعب من سابقه، لم نتكلم بأي شيء، كانت عيوننا فقط هي من تتحدث، بإمكانها أن تقول ملايين الكلمات التي لا يمكن للسان أن يرددها.

أحياناً كثيرة يصاب الإنسان بنوبة هستيريا من الضحك أو البكاء أو العصبية، لكنني اليوم رأيت نوبة هستيريا الصمت، حيث لا ينطق أي أحد بكلمة أبداً،

كسر ذلك عمو قيس عندما أعلن لنا، أن ننهض لنخطي خطواتنا الأولى.

- آه، لقد تعبتُ في كل مرة تظهر هناك محاولة أولى، كأن سابقتها كانت لا شيء يذكر أبداً، تشبه محاولاتنا في المدرسة في كل مرة يقوم الأستاذ بأعادة الامتحان، فكل شخص يوجه نظرة إلى حاجته، من كان أخذ درجة الرسوب، سيفرح للإعادة حتى تتيح له فرصة النجاح، ومن أخذ درجة كاملة لا يريد ذلك حتى لا تؤثر عليه، ومن كان في المنتصف، سينظر إلى الجانبين فهو الفائز على أية حال، مغادرة المنطقة المجهولة في التفرعات ونحن نتلفت كسارقين البلد الذين لم يلقون نظرة إلى ما تركوا خلفهم، ننظر إلى الجوانب خوفًا من أن يخرج أحدهم ويلقي القبض علينا،

لنعود إلى ما تحت الصفر من جديد، يسير أمامنا عمو قيس، أدخلنا بطرقٍ عديدة وجميعها أفرغ حتى كانت بين المنازل، كنا نرتدي نفس الملابس التي هربنا بها من التنظيم الإرهابي إلى الآن، فلم يتعرف علينا أحد حتى وأن رأونا سيشكون أننا منهم، قاموا بجعل جميع النساء ترتدي هكذا بصيغة اجبارية اجراميه، وصلنا إلى مكان مهجور يبدو أنه منعزل عن كل تلك المنازل بعد أن سرنا لوقت طويل جداً ريثما يصل إلى ساعة ونصف على أقدامنا، كانت المنطقة مظلمة بالكامل، حتى هذا المكان كان ظلام جداً، في داخلي رغبة شديدة للتعرف على منقذنا، لقد سميناه هكذا منذ أن تحدث عمو قيس عنهم وعن عناصر الحشد الشعبي لأنهم من سكان أرضنا ويريدون أن يحموا الجميع، اقتربنا من ذلك المكان حتى وصل عمو قيس قبلنا،

- انتظرن هنا، سأدخل في البداية وأحدثهم بكل ما يخصكم.
- لا تدخلن، أبقوا في تلك الزاوية، حتى لا يراكم أحد، ربما تبعنا التنظيم كنا نرتجف من برودة الجو، الجو هنا عكسنا في الجنوب، لا نشعر بالبرد إلا شهرًا واحد ربما الشهر الثاني عشر من السنة، هكذا يكون شتائنا، خرج عمو قيس بعد نصف ساعة

تقريباً من الوقت، أنا اقدر الوقت في عقلي لا تنصدمون من ذلك، أنها عادتي منذ الصغر.

- هيا، أدخلوا مرحبًا بكم هنا أنهم جنود الله في ارضه، سيأخذونكم إلى بر الأمان ومن هناك، يمكن أن تعودوا إلى عوائلكم آمنين.
- تحدثت معهم في كل شيء، الآن اتجهتم من أمانتي إلى أمانتهم، لا تجعلوا الظن السيء يزور مخيلاتكم، أنتم تمثلون كأي ابنة يملكها أب فقد بناته، هكذا اعتبرتكم من اليوم الأول، وكيف لشخص أن يترك بناته في أيدي غير أمينة.
- تمام عمو، لا نعرف كيف نقدم الشكر لك وهل انتهت رحلتنا هنا، لكن أعلم، سيأتي يوم ونلتقي بك من جديد، أن خلقت لنا بداية حياة جديدة، ستعود بنا الطرقات، فما نحن إلا جزء من صدفة، عندما دخلنا على ببطء، كأن الدنيا انقلبت، ربما حلم، ربما وهم، ربما شيء آخر، لكنه ليس الواقع، جل ما هيئته الظروف والوقت المتراكم هو هذا، قلبي كاد ينكمش من الخوف، أنه أبي .
- أنا أعرف أبي من عيونه.

ذلك تردد في داخلي بعد أن رأيت ثلاثة منهم، أنهم اصحاب الحق عندنا.

أريد أن ينطق لساني، تلعثم وتردد أبي... أبي أريدُ أن اقول له وأذهب لاحتضانه أنا أبنتك.. لم يراني، كنا جميعًا نرتدي النقاب، كيف يستطيع أن يعرفنا وحتى عيوني لم تظهر، كانوا ملثمين لكنني أميزه بين الجميع لا أستطيع أن اخطأ في تشبيه أبي بأخر أبداً.

لم تظهر غير عيونهم، أنا تجمدت في مكاني وتلخبط العالم من حولي، كأني فقط واقفة هنا وأنظر إليه في تلك الجهة بعيونه هذه التي كانت يخبأني فيهم من أي شرور في هذه الدنيا.

الآن ينطبق ما كانت تقوله جدتي في صغري، دارت الدنيا بيه.

حدث ذلك بالفعل، أنعزل كل شيء ليصبح حاجز بيني وبينه رغم تلك الأمتار، إلا أنني كان خيالي يعتم كل تلك الأمتار ويضعها في ملايين الكيلومترات،

- أيعقل أنه هو؟
- لا لا.. أنه أبي بحد ذاته، أنا اعرفه.
- ماذا لو كان شبيه له من تلك المقولة القديمة في الحكايات حيث يوجد اربعون شخصا متشابهون في المظهر؟
- ماذا لو كان هو أحد هؤلاء الأربعين؟
- آه يا رب، أنا عدتُ إلى حيرتي،

- سأكلمه... لا يهمني الآن أي شيء.

كانتا زهراء وإيناس يحركن بأكتافي ويمسكن يداي، فقد وقفت وأنا لا أعلم كم مر على ذلك الوقت،

- مريم ما بكِ؟
- مريم تكلمي ذلك كل ما سمعته، عيوني مغطاة إلا أنهن انهمر بالكامل ليسبح الخمار الذي على وجهي بعيوني، ترددات صوتي بدأت ترتفع من كلمة أبي إلى "بويه " لا انسى أنهم بقوا ينظرون إلى حماقتي، تقدم والدي بجهتي وأنزل اللثام، كان شامخ كعلم يرفرف مطمئن ارضه،
- مريم؟
- أنا مريم
- كيف يمكن أن لا تتعرف على عيوني؟

رفعت الخمار عن وجهي، لترفع كل من زهراء وإيناس ذلك، وقعتُ في الأرض وأنا أبكي سقط والدي مع دموعه المتسارعة، سحبني إلى حضنه ليقوم باحتضاني.

- أنا بحاجة إليك .
- كيف أتيت إلى هنا؟

كنتُ أريدُ أن أسئلة كل هذا، لكنني لم أستطيع، لحظة الحنين والشوق تغلبت على كل شيء آخر، كأن الوطن عاد بأكمله إلى ابنائه، كأن الزمن توقف في كل العالم وبقيت الساعة تعمل لدينا فقط.

الآن ذلك الخوف سيختفي

الآن الاطمئنان أتى بنفسه.

أنه هو كل ما أحتاجه،

علمت لِم الناس يعشقونهم،

لأنه احدهم أبي،

يعني جميعهم هكذا يملكون حنين الدنيا في قلوبهم والقوة عند الصعوبة، من يملك هكذا في تقدم السنين وتغير قلوب الناس وضميرهم وكل شيء يصبح شخص مثالي وعمله نادرة تكاد تنقرض، يجب الحفاظ عليها، فكيف يزجون بأنفسهم بأفواه الموت بدون أي رحمة أم أنهم عشقوا الموت حتى أصبح من أمنياتهم؟ أم أن الشهادة هدفهم؟ لا يوجد كلمة مات، الجميع شهداء! هكذا اعلان خبر استشهاد الأصدقاء ليحلق أي أحد فيهم من منزله بكلمة واحدة إلى كلمة مزهرة زاهية بعدة اسرار لم تحكى ولا يعرفها شخص غير من أحبوها بأعماقهم، أنه ساعة السعادة بالنسبة لهم، ذلك من عرفته من عمو قيس، أيعقل أبي حمل كل ذلك في قلبه أم أنه

اختار طريقين في الحياة البحث عني والشهادة التي يريدها؟! لطالما كان أبي من زمن قديم يحدثنا عن قادة عظماء في التاريخ، نالوا كل تلك المراتب بدفاعهم وحمايتهم لوطنهم ليسقطوا وهم ممسكين بعلم الحق رافعين أيديهم بجعلة يرفرف في الهواء، الأمر أعظم من قطعة من القماش يزيحها الهواء محلق بها في كل مكان، العبرة بما يحتمي خلف هذه القطعة من أطفال ونساء وشباب وشيبة وعقيدة وتاريخ، بلد كامل يختبأ خلف هذا، فهو ليس قطعة يحملها عود مرة يكون من الخشب وأخرى من حديد وحتى يصل إلى النايلون، حيث نرفرف به في صفوفنا الدراسية في أحد المرات، سقط من صديقتي وأنا في المدرسة، "العلم" ونحن عائدين بصف واحد إلى صفوفنا بعد أن انتهينا من ذبذبة الأناشيد والتصفيق المتتالي حتى شعرنا بالتعب، ركضت صديقتي ودخلت بين الفتيات حتى تأخذه، أنا هنا لم أعرف ماهي تلك المشاعر العظمى التي تحث طفلة حتى تفعل هكذا، إلا أن سألت والدي قال:

- والدها توفي من أجل هذا، كيف تريدين منها أن تجعله يسحق بالأقدام لا يمكن أن يوفي أي أحد شيء له، فهو أعطى أغلى ملكه وهي الروح، ليس جميعنا نستطيع فعلها، الآن عرفت أنه والدها كان "شهيداً".
- بابا : مريم تحدثي.

- كيف وصلتي إلى هذا الحال؟
- تعرفين كم بحثت عنكِ؟
- هل تعلمين حال أمك في غيابك؟ أما صلاح....أنزل رأسه منحنيًا ودموعه تسقط وعدم اهتمامه لهم، رغم وجود صديقاتي ورجال أخرين، لا يعير أي أهتمام لأي شيء، كيف وصل إلى هذا الحال؟ نحن نعرف وذلك اعتبر بمثابة قانون يوضع على لائحة كل رجل، وهي "لا تنزل دموعك فأنت رجل، " لا تبكي فأنت رجل" تلك هي قوانينهم، في الحالة التي ينهمر بدموعه يعني أنه كُسر من شيء كبير، أما الحياة أو عائلته، وأن الثانية هي من تجعله يهزم، ويرون دموعك في العلن دون الخفاء، نادرًا من ستجدها تنزل في لحظات الفرح .
- لا تهتمي بشيء يا أبنتي، نتحدث فيما بعد عن هذا هيا لنخرج من هنا .
- لكن يا أبي أريد أن أعرف كل شيء،
- ليس الآن ....كان ذلك بنظرة حادة من الانكسار والعصبية أمسكني بيدي كأنني بتلك الطفلة التي ذهبت إلى المدرسة أول مرة عادت لتعيش في داخلي من جديد، من الصعب أن تجد أباك في أي شخص، كيف لو وجدته بحد ذاته وأنت غريب في أرض

بعيدة، تزهر الدنيا في وجهك، تطفأ الحرب كاملة وتخمد بحرارة الشوق ودموع السعادة، يمكن للجميع أن يكونوا أبناء، لكن ليس جميعهم يستطيعوا أن يصبحوا ذات يوم آباء، مثل أبي، أنه بطلي الأبدي يشبه تلك الروايات القديمة، أن يكون منقذ وبطل للجميع، تنبع منهم رائحة المسك والأمان، كأنهم منذ القدم مختارين بأمر الله لهكذا ساعة ويوم وحرب، كانوا ملثمين بملابس سوداء تشبه تلك التي يرتديها افراد التنظيم الإرهابي، أنا لا أنكر عند دخولي ونظرتي عليهم كنت اخاف أن يشبهوا أولئكَ الذين هربنا منهم، لكن عيون أبي كانت ملجأ أماني، خرجنا وأنا في يد ممسكة بأبي والأخرة ممسكة بصديقاتي، أنا أنظر إلى نفسي، هم يقولون نحن مسؤوليتك وأنا اقول، أنا مسؤولية أبي بقوا يسيرون خلفنا مع أسلحتهم وهم يراقبون الطريق بدقة حتى لا يأتي عناصر التنظيم، فهم لم يبقوا مكان هنا أمان وحتى الظل بدأ يخيفك، وصلنا إلى سيارة كانت تركن في القرب لنصعد فيها، ربما الآن سيقودنا الطريق إلى الأمان الذي فقدناه منذ دخولنا إلى هذه المدينة، أن أبي معي يعني سيسهل كل شيء في حياتي، لا أحتاج أن أكون مسؤولة عن أحد بعد الآن، حتى جلوسنا في

السيارة كان يمسك بيدي ويبكي وبدأ الحزن يخيم عليه من جديد.

أنت وجدتني ماذا حصل يا أبي؟ سألته هكذا، وأنا أعرف لن يقوم بإجابتي، اعتاد دائمًا أن يبقي أحزانه تأكل به، محطمة داخله بالكامل دون أن يترك مساحه لتخرج منها إلى هذا العالم ويقوم بتحريرها.

- أنا خائف عليكِ ، لماذا تخاف علي وأنت معي؟
- ليس معك،
- أنا رحلتي معك ستتوقف بعد الوصول إلى المكان الآمن، من هناك يقومون بنقلكم أصدقائي،
- لا تخافين، ستبقون في عدتهم
- لماذا تفعل هكذا؟
- أنت تعلم، أني أريد أن أعود إلى مدينتي وأنت بيدي ، أنت تعرف لا يوجد غيرك من يسندني .
- إذا لم تكن معي، كيف اواجه العالم وحيدة،؟! أنا الآن ثقل الألم بدأ يقل عندي، عند كلامه هذا وسماعه، عاد من جديد بدفعه أكبر من سابقتها، قال لي بصوتٍ خفيف وكلمات بالكاد تستطيع الخروج وهو منهار، بابا البلد يحتاج إلينا الآن، الوضع خطر جداً، نحن على أبواب حرب كبيرة،

- هل تعرفين أنهم سيطروا على أغلب مدننا، حتى يريدوا أن يصلوا إلى العاصمة، أنتِ لم تري أي فيديو كانوا يقومون بنشره، تكلمت وأنا في حالة من العصبية، رغم علمي بأن كلامه جميعه صحيح.
- هل البلد توقف فقط عليك، يريد أن يأخذك مني بعد هذه الفترة؟!
- هناك العديد غيرك يمكنهم أن يذهبوا مكانك.
- ريمه إذا كنت أنا اقول هكذا وغيري يقول نفس الكلام، إذًا اخبريني من سينهض ليحمي البلد؟ بماذا تفكرين أنتِ،؟! أنظري إلى عباس هذا بيننا، لقد تزوج في الأسبوع الماضي واليوم هو معنا عاد قبل يومين ليكمل دوامه وكانت إجازة زفافه فقط أربعة أيام هو أرادها، هكذا يفعلون من يتعطشون إلى لحظة التحرير والشهادة من أجل وطنهم وأرضهم، أعلمي ان لكل شخص فينا وبيننا حياة لم نعلم عنها شيء، هناك من يترك والدته وحدها وهناك من يترك أولاده خلفه بانتظار وتأمل قدومه إليهم في كلِ مرة وتأتي أحدها ويأتي لكن متمدد بدون كلام وبعينين مغلقة، أنهم ببساطة هكذا لا يعرف أي أحد قصصهم، وهناك من يتكلم عليهم بالسوء، رغم ذلك لم يعطوا أي أهتمام أبداً، هذا طالب وذلك موظف

حكومي وآخر صاحب أعمال حرة، لم يأتوا لأنهم لا يملكون المال، أتوا لأنهم يملكون الضمير والإنسانية والقوة والصبر والقدرة على مقاومة كل شيء، أتوا لأنهم ينتظرون شيء أعظم.

- أنا أشبه هؤلاء ريمه، لم أختلف عنهم بشيء، عندما حاولت الأتصال بكِ بكل مقدوري وسألت العديد وحاولت أن أتي لكن كان وقتها جميع الطرق مغلقة وتم منعي، لم يكن أي باب آخر للقدوم غير أني أتطوع كالباقين، فقط لأبحث عنك، في أي جهة وتركت خلفي والدتك وهي تنتظرني أن تراني ممسك بيدك بكل قوة وقادم إليها، فهي أنقلب حالها منذ لحظة اختفائك وعلمها بماذا حصل في هذه المناطق،

رغم ذلك أنا وعدتها بعودتك لا أعلم كيف وماهي الطريقة لكنني أعطيتها كلمة لهذا السبب تجدينني اليوم هنا، نقوم بمساعدة ونقل الأهالي من يريدون الهروب وجاهزين لمساعدتنا بإخراجهم من هنا، بعد أيام من انتمائي إلى الحشد الشعبي ومشاركتي معهم اختلف كل شيء عندي، اعتدت أن تصبح هذه هويتي الحقيقية، فهم جميعهم عاديين مثلنا، لكنهم أصبحوا حياة لأخرين وأمل يتعلق به الشخص الذي يأس بأمل عودته إلى حيث كان وحتى جمعه مع عائلته.

منذُ بداية هذه الحرب وكل شيء تغير، الهجرة إلى خارج العراق في أعداد هائلة جداً، وحتى في داخل العراق إلى المناطق الأخرى، كل شخص يريد أن يلوذ بحياته، بعد أن أخذ الأمر منه منعطف صعب وهو أن يجد نفسه بين تنظيم إرهابي كبير يتجول في المكان وبين الناس بعد أن كان بالأمس كل شيء مختلف، أصبح يزهو بقتل الأرواح، وكل شيء توفي من حضارة وأمن وحتى النباتات برمتها انتهت ، بعد اشهر بسيطة ستكون مرت سنة كاملة على هذا الحال وهذه النكبة التي أعادت بلادنا إلى السابق، بلدنا وأرضنا تحتاجنا جميعًا بلا استثناء لأي شخص، يمكن لأي أحد في أي مكان من لم يكن قادر على القدوم إلى هنا أن يكون مناضل بحربه ضد ما يحدث في هذا الوقت وأن لا يغفل عن وطنه.

- بابا، أنت تتحدث بكل هذا فقط من أجل افلات يدي من جديد.
- أتظن بمقدوري أن أستمر؟! وأنا عندما رأيتك حتى الأمل عاد يحيى في داخلي كأني بنفسي كانت ميته وهناك من أتى وقام برش الماء عليها لتعود وكان هذا الشخص "أنت يا أبي"، أخذ دقائق من الصمت وهو ينظر في عيوني،
- لا أريد أن أبقيكِ معي لكن أنا أريد ذلك لا يمكنني، هنا أنتِ لستِ بأمان أبداً .
- ومن قال يا أبي أني في أمان؟

- يا أبنتي سأعود إليك وهذا وعد صداقة أبدي وعد من رجال الحق هل يمكنك أن تثقي بي الآن؟
- أنا أثق بكَ، لكن لا أثق بالحياة والموت المحتم وصلنا إلى مكان يسكنون به العديد من رجال الحق وهم بكبيرهم وصغيرهم يحملون السلاح ومستعدين في كل وقت، ما السر خلف هؤلاء، أنهم من اختيار الكون، هذا كان جوابي لتساؤلي المستمر عنهم، أخبرني أبي أن أثق بهم، فهم حماة بلدنا وعلينا أن نكون بأمانتهم، اخذت ارتقب ملامح كل أحد، الجميع مبتسم، كيف يفعلوا كل ذلك، رغم أنهم يعلموا أن لا أمان هنا وعلى أية ساعة ستنتهي حياتهم بلحظةٍ غير متوقعة، جلستُ وأنا أبكي مسندة على زهراء وإيناس، قولوا لي ماذا أفعل هل اعود إلى البداية اقترب مني أبي واحتضنني كأنه الوداع الأخير منه، ماذا به وهو يبكي هكذا، بعد أن ألتقينا في أرضٍ غريبة وبعيدة عن ديارنا شاء الزمن أن يجدني في لحظةٍ واحدة ومكان واحد وجمعنا معاً، لكن ماذا لم يكن هذا غير جرعة دواء وقتية حتى يعطيني القوة بوجوده، لكنه سيعود مرة ثانية ويترك يدي، ليبدأ الألم بالانتشار من جديد بعد انتهاء المفعول، هل اتفق الجميع على أن يسرقونك مني مرة أخرى؟ ماذا يريدون من شخص مهشم القوة ممتلئ بالآمال؟

لا تخافي أنتِ بأمان هنا، جميعهم عائلتك، سيجعلونك تعودين إلى المنزل في ظلهم، هنا عدة قوافل تأخذ من نزح من منطقته عبر حماية جميع قواتنا الأمنية، وتوصلهم إلى مكان أمن من هناك ستكونين في منزلكِ.

- ما هو الأمان وأنتَ لست معي؟
- لا تجعليني انكسر، فأنا كسرت مرتين الأولى عند اختفائك، والثانية عند عند ماذا؟ أنسي ذلك، ريمه انتبهي على نفسكِ. أكمل مهمتي وأعود إليكِ، هذا طارق يسمى أبو محمد، أنتِ وصديقاتك ستبقون بأمانته حتى أعود، كان طارق شبيه بأبي في السن والحنان واللطف، من أول مرة أستقبلنا وترك وجبته ليعطيها لنا، علمت حينها أن كلام أبي هو الصح في كل توقيت يمر، وعرفت أنهم ذوي قلوب أشبه بالأطفال في الحب والإخلاص، بعد مرور يومين على بقائنا في هذا الحال وأنا لا أريد من أبي أن يذهب، حان موعده حتى يعود لمهمتهِ، وهنا أنا كنتُ أشبه بطير يغادره أهله دون علمه ويعودون دون علمه فلا توقيت محدد ولا حتى مكان.

إيناس مر الكثير من الوقت وهي لم تتكلم بشيء، عندما رأت أبي يريد أن يودعني ابدت بالكلام، عمو، أنت تعلم أن أمل لقائكم بمريم كان الوحيد الذي يجعلها تقاوم إلى الآن وتتحمل كل هذه الصعوبات، الأمر ليس بأيام،

كان عذاب أشهر مستمر، أكثر من يعرف أن العيش مع الوحوش صعب هو أنتَ، لماذا تفعل ذلك؟

زهراء وهي حزينة جداً، عمو أبي ذهب منذ سنين وأنا لم أعانقه إلا في الصور كل ليلة قبل نومي، هل تريد أن يكون مصير مريم هكذا؟

- أنا أعدكم أنني سأعود محمل براية النصر لخذلان الأعداء، رغمًا عني وفوق ما يحملني الواقع، بعبارات لا تطول.
- أذهب أبي، لكني سأبقى في أمل انتظار عودتك، أنت تعرف لا يوجد غيرك من يجعل اسمي يتغير من مريم إلى ريمه.
- خذي هذهِ الربطة وضعيها على رأسك، ستكون ذكرى كلما تريها أعلمي أنني بقربك دائماً وفي ساعةٍ ما، ستريني أمامك، كانت ربطة سوداء اللون اخرجها من جيبة كأنه احتفظ بها لهذه اللحظة، حتى تبسمتُ قائلةً
- الآن هذه قوتي اريدك هكذا دائماً، هذا ما قاله لي ثم حرك رأسي إلى صديقاتي،
- أنتم كذلك اصمدوا واعتنوا ببعضكم،
- أن شاء القدر ستعانقون أهلكم في القريب العاجل، هل يقوده الزمن للكلام بصيغة وداعية، أم أنها أصبحت عادته، متى اعتاد على الوداع هكذا؟ ذهب بعد عناق طويل جداً لا اذكر هل أستمر

ساعة كاملة أم كانت أقل أذكرُ أني احتضنته في عصر اليوم إلى أن غابت الشمس، توقف كل شيء في لحظة الحب الخالدة بين الأب وأبنته. حاول أن يفلت أصابعي من يده بكل قوته، ولم ينظر إلى الخلف أبداً، خوفًا من أن يتمسك بهذا المكان ويرى مدمعي ليهزم ويعود، لكنه لم يفعل ذلك، لم أكن أريده أن يقول وداعًا، فالوداع يقتل أمل اللقاء مرة ثانية، لكنه قالها لن انسى كلماته، سأقوم بأخذ الدين الذي بقى عندهم على كل الآثار التي بقيت في جسمك،

- انتظرك على وعدك، رد بكلمته المعتادة
- أنا ولدتُ من الوفاء وسأعمل به.

أنه دليل ثابت سيبقى على وعده مهما مرت عليه من معادلات صعبة الحل، ستكون النتيجة هي الفاصل فليست مهمة بقدر ما تكون العملية وطريقتها وكيف تحولت إلى نتيجة ظاهره غادر، لأبقى مسندة بجسدي على حائط قديم، قالوا أنهم سينقلوننا في صباحِ الغد مع عدد من مهاجرين وهناك جنود من مناطقنا سنعود معهم، تلك الساعة لم أستطع أن أغفى دقيقه واحدة رغم غلبني الوسن، كل ما أفكر فيه سأصل إلى والدتي، سأركض إلى احتضان عائلتي، ذلك الحضن الذي افتقده طوال هذه الاشهر أنا في عقلي أصارعه، كيف من الممكن أن تكون لحظة لقائي بوالدي

وذهابه بهذهِ السرعة الغير متوقعة شيء لا يمكن أحد أن يصدقه لا يهم، سأصل عن قريب إلى منزلي واعود إلى احضانه لنعيش بأمان، ليس من المعقول أن تكون عوائلنا الوحيدة المضحية، كل شخص فيهم عائلته فقدت الكثير، يعني ذلك ليس وحدنا من نحارب الحياة، ليلة ليتها لم تأتي لم تغرب الشمس حتى أصبح كل شيء مخيفاً، وصول الليل إلى الساعة التاسعة والربع بتوقيت العراق ومحافظة الموصول ذلك ما رأيته في ساعة جدارية معلقة في ذلك المنزل، أتت سيارة محملة بالمواد الغذائية يعني جميع الأطعمة، أنها مساعدات من الناس في أماكن مختلفة حاولوا أن يساعدون الحشد الشعبي، هذا ما عرفته من كلام عمو طارق، جلس الجنود جميعهم في الخارج ليقوموا بتوزيع بعض الأكل، خرجن زهراء وإيناس، ليأتين بالأكل بعد أن نادى عمو طارق علينا، أنا لم أستطيع الخروج، لا زلتُ لا أريد أي شيء أبداً، لم يفارقني أبي إلا منذ لحظات قليلة جداً، بدأ دوي الأصوات يخرج ليهتز المنزل بأكمله وتسقط العديد من اجزائه ماذا حدث؟ تحركت من تحت الركام لأخرج من باب الخلف، واتجهت إلى الأمام كانت الجثث متساقطة كقطرات المطر للجنود المناضلين والمرابطين لحمايتنا، كانت تكمن القضية بشاحنة المساعدة، تحمل قنبلة بعد وصولها بربع ساعة انفجرت، أنها كمين نصبه الأعداء، ذلك يعني أنهم يعلمون بمكاننا، صوت لكن بلا نور أصبح كل شيء معتم أمامي، أين

زهراء؟ أين إيناس؟ بدأ الجو معتم جداً ما عدى نيران الانفجار واضحة رسمت صورة قاتلة في سماء الغربة، كأنها اعلنت فوز الوحوش على أسد الأرض وصريخ الآلام ونقل الجرحى كان ذلك مرئي ومخفي في آنٍ واحد، عيوني بدأت تعمى هذا ما قلته لنفسي، تعثرت لأسقط في الأرض ممسكة بصلابتها، كانت يد زهراء، كأنها تريد أن تقول لي شيء،

- زهراء كلميني، زهراء أنا بحاجتك،
- لماذا كل شخص أحبه يغادرني؟
- لا أريدكِ أن تذهبي مثل أبي؟
- أنتِ لماذا قمتِ برسم الوعد على كفي ؟ أن تبقي بجانبي إلى الأبد! زهراء تتكلم بثقة هذه طبيعتها المعتادة، النار تكون نور أحياناً وتراها أنت في الشمس، لكن الأرضِ هي من تحترق، كذلك نحن غيرنا يرانا وجهته ونوره لكننا نحترق دون سابق انذار،
- انتبهي على نفسكِ،
- أخبري أمي برأس مرفوع "أبنتك أصبحت شهيدة خالدة "،

كيف يمكن أن اواصل الآن، اطلب من الكون أن يسرقني معك، ليس بمقدوري السعي، صرخت بكامل قوتي لم يتضح صوتي أبداً ولا يخرج ولا يكون مميز، فالجميع هناك كانوا يصرخون على اصدقائهم وعلى أبنائهم وعلى قادتهم، الجميع ينظر إلى سنده وظهره منحني، أصبحوا عائلة وفي

كل لحظات تفقد هذه العائلة أحد أبنائها ما التغير الذي سيحصل غير أن ينكسروا في كل يوم عدة مرات ، امتزجت ملابسي بدماء زهراء، لا يمكنني نسيان عيونها وهي كانت تنظر لي بعد أن استسلمت، غلقت عيناها، وغطيت جسدها بقطعة من القماش اخذتها كانت بجانبي، اكره المسافة التي بيني وبين جثتها لكنها الذريعة التي جعلتني أقربها إلى جسدي لأشم رأسها وأبكي نحيب عليها، ركضتُ مسرعة أبحث عن إيناس، لأنني أعلم أنا وزهراء لن نفترق لكننا لن نلتقي مجدداً، سأقوم بدفنها بيدي هاتين، هل أنا أصبحتُ قاسية لتلك الدرجة؟ أن أمسك يد صديقتي ورأسها في أحضاني وبعد لحظات أنهض كأنه شيء لم يكن! ومن ثم أقوم بمحاولة دفنها! قاموا الجنود بجعل اماكن قبور رمزية إلى كل شخص حتى يعودوا مرة أخرى لنقل جثته، في هذه الأثناء غادرت، رأيت إيناس جريحة ومصابة برأسها، وصلت إليها لنحضن بعضنا، أتى عمو طارق بكامل سرعته.

- يجب أن نغادر هذا المكان قبل حلول الفجر، فالتنظيم عرف مكاننا سيأتون عن قريب، إلى أن يقومون بتعطيلهم جنودنا في اماكن أخرى، سنقوم بدفن جثثنا من الناس التي لم نعرفهم فالسيارات لا تكفي لنقل الجميع، ذهبت لأنشر التراب على زهراء بعد أن وضعوها في داخل حفرة صغيرة جداً وأنا وضعت

السوار الذي كان هدية من جدتي لي كانت قلادة وألتفت على يدي لسنوات، ذات لؤلؤ وهمي كهذه الحياة لكنه يصد في النظر بلمعته سحبته من يدي إلى فوق التراب حتى اعود مرة أخرى لأعرفها، أيعقل أني أصبحتُ هكذا صلبة؟!، لأدفن صديقتي بين يدي وأنا صامته، أم أن كل شيء انتهى عندي اليوم، فعلت كل ذلك بحركات متجمدة لم تخضع لأمر الدماغ أبداً،

- سوف تعودين إلى موطنك يا زهراء. هذا ما كنت أقوله إلى تلك الطينة الرطبة التي نثرتها على صديقتي ذات الملامح الجميلة، كانت تملك عينان لن يكفيها غزل الكون مجتمع لأقوله عنهم، ابتسامة تطمئن كل أحد أضاعت منه مفاتيح أمله، أن يكون شكل الشخص بحد ذاته راحه لروحك، كانت تلك هي زهراء، لاتشبه أحد، أنها صديقة مريم، هذا ما بقيت اقوله لها منذ الصغر، لم تكن توقعاتي مخططة لهذه اللحظة، يختفي منك أحد فجاءةً بدون أن تودعه ولم تتحدث معه بكل شيء عن وصيته أنه صعب أليس كذلك؟ هذا ما فعلته معي زهراء، كنا تواعدنا بعهد الأصدقاء على زيارة كل مكان سوية وأن لا نفترق، لا أعرف هل هي خانت العهد برحيلها، أم أنا خنته ببقائي حية إلى الآن.

- عمو مريم، أسرعي لم يتبقى الكثير من الوقت، بدأوا بمهاجمة مكاننا، علينا أن نسرع كثيرًا،
- هيا، سنأخذ إيناس بطريقنا، كنت قد سرت مسرعة وأنا وجهي ملتف على نفسه بالنظر إلى ذلك القبر الرمزي وفي داخله قطعة مني، لماذا منذ بداية هذه الحرب وأنا أخسرُ كل شخص أحبه فيها، هل من الممكن أنا أعاني وحدي وأعطي من أحبابي لهذهِ الأرض، لماذا لم اذهب معهم، ماهي نتيجة بقائي، أخذت إيناس تتكئ على كتفي برأس نصفه مهشم وجروح في اليدين، لم يكن يعرف أحد أن نزيفها صعب فالدماء امتزجت مع ملابسها ذات اللون الأسود، كنتُ أنا من أعلم بكل ذلك، وهي باكية ومرددة ، كنتُ أعرف أن هذا سيحصل، لماذا نحن نحاول العيش؟، إذا كان نهايتنا الموت كزهراء وتنشر أجسادنا في الغربة، دون أن يعلم عنها أحد شيء، ولا يمكن الوصول إليها أبداً ، لا تخافي سنصل إلى جميع جثثنا أن متنا، سنترك أثر ليعرفوا مكاننا به، لن نموت دون أن يعلم العالم شيء .
- أنتِ تعرفين أن زهراء لم تكن تريد أن تكون لحظة وداعها بهذا الشكل كانت محملة ببركان هائل من الأحلام منها لنفسها وأخرى لوالدتها المنتظرة وحيدة في ذلك المنزل، ليس بأيدينا قوة

فنحن لسناء فتيات خارقات لنرفع أصابعنا ونقوم بتدمير الاعـداء، نحن عاديات نلوذ بكل جهـة مـن أجـل ارواحنـا. ركبنـا المركبـة مسرعين إلى الخيال، هذا ما اردد به، أيـن نهايتنـا ولمـاذا نسـتمر بالمحاولـة؟!، أنـه شـيء أشـبه بالعـالم الـوهمي كـاملاً، نتشـبث بالأشـخاص وبالأمـاكن عسـى وأن نجـد ممـر يخرجنـا مـن دائـرة السواد، لكن في كل مرة هنـاك مطـب نخسـر بـه شـخص، حتـى أنني أصبحت اخـاف أن اطلـب مسـاعدة شـخص أخـر، ربمـا في المقابل سأخسر شيء عزيز على قلبي، هذه فكرتي في هكذا وقـت، الحياة تعطيك لكنها تأخذ منك في المقابـل شـيء عظـيم، منـذ أول مرة وهي بدأت بسرقتي في العلنِ ،ساعتين ونحن نسير لا نعلـم إلى أين متوجـهين أغمضت عيني، هل هي من كثرة التعـب، أم تريـد الهروب إلى عالم أخر تقدمت نحوي زهراء برداء جميل جداً وكـان أسواري في يدها لكنه الآن مرصع بهيئة أكثـر جمـالاً، مـريم أنـتِ بطلة، ستصلين إلى مبتغاك، الجميع حولك هم رسـالة بعثـت مـن شخص عزيز جداً عليـك، لتجـديهم في طريقـك لتسـهيل حالـك، أفلا تسألين نفسك كيف يتهيأ كل شيء لينقذك في كل مرة؟! كأن اتفق العالم على امداد خط العودة لكِ، عزيز!، من هذا؟ إذا كـان

كذلك يعني أنه ميت، لكنني لم يتوفى لي أحد في آخر فترة غير استشهادك يا زهراء، لا تفكري بالأمر ستصلين.

- لا تنسين رسالتي إلى أمي "زهراء أصبحت شهيدة، لترفعي رأسك محلقة إلى السماء.
- "ألا تريدي أن تقولي شيء آخر؟ مثل ماذا؟ مثل أنكِ كيف ابتعدتِ عني؟ ، لم يكن ابتعادي باستطاعتي، كان الزمن والوقت تسير في عبارة أن هذا وقت استشهادك، فأنا استقبلت ذلك برحابة صدر كان الألم من أثر الضربة قوي إلى درجة ارتحت عند مغادرتي، اسألي أي أحد هل الموت راحة؟ سيجيبك من يتألم أنه سوف يرتاح لأنه لن يشعر بأي أذى في جسده مرة أخرى، ستكون كل ضربات جسده أنوار تضيء عند الخالق، هذه تعويضات عظيمة، أتمنى أن استشهد في هذه اللحظة حتى أكون معك، لا تقولي هكذا، لم يحن وقتك، بقائك رسالة، ومغادرتي رسالة أخرى اخذت اموء برأسي بحنان، أريدُ أن اهرب من كل هذا العالم إلى سمائك وأرضك، اظنها تختلف عني، لم تختلف بشيء غير أن الأشرار مقيدين بنيران تحرق بهم ،اخذت تختفي تدريجياً، لتشير بيدها ذات السوار اللامع بعلامة الوداع، زهراء انتظري.. زهراء : مريم ماذا حدث معك؟

- زهراء كانت هنا هل رأيتها يا إيناس؟
- كنتِ تحلمين، اقتربي لحضني لم يكن سوى حلم، لا تقلقي، علينا البقاء صامدين،
- مريم منذ متى أصبحت هكذا ضعيفة؟ من كان قوتنا طوال هذه الرحلة البشعة؟
- كيف لا اضعف وأنا فقدت كل شيء؟
- لا لم تفقدي كل شيء، بقى هناك الكثير، حكاية المخيمات وصلنا في النهار إلى مكان يجتمع فيه ناس ذو ملابس مهتريه، ووجوه يشوبها الحزن والأتربة، في مخيماتٍ كبيرة تملؤها تشققات تسطع في داخلها أشعة الشمس لتحرق البشرة لأولئك الأطفال الذين يركضون في التراب وهم لم يعلموا أي شيء، غير أن الجوع زاد في بطونهم، كانت الكثير من النساء والأطفال منتشرين، عندما نزلنا استمروا يحقدون فينا، كأنهم اعتادوا أن يروا كل يوم عدد جديد يضاف إليهم، لتحكي قصة جديدة بين هذه الخيام، هناك طفل في زاوية واضع رأسه بين أقدامه، كنت أتساءل ما هو ذنبه؟ لماذا اختارته الحياة للتألم في وقتٍ مبكر جداً عليه؟ نحن هكذا نولد في الأزمات ومن بين الأزمات لنعيش الأزمات جميعها، محكم على جبهتك منذ البداية، لنصبح كسفينة واقفة في شراعها ومرساتها

وبرجها، لا تخاف أن بدأت العاصفة في غير وقتها، فهي قامت بتجهيز العدة قبل الغوص في البحرِ، مر الوقت ونحن على هذا الحال متأملين أن يرحب فينا أحد، لكن لم يفعل أي شخص ذلك، اعتقد أن كل أحد فيهم يريد أن تتسع المساحة لتكفي له ولعائلته وليس أن يأتي ضيف جديد، ونحن لسنا في ديارنا حتى نذهب لزيارة الجيران والأقارب، ليفتح لنا الباب مرحبين فينا للدخول ونجد المنزل مجهز بفرش جديدة وكاسات المياه موضوعه في مكان أمام كل ضيف يحضر، نحن في بقعة بعيدة جداً، أن وجدت مكان حتى تهدأ به، ستكون تلك نتيجة فوزك، هنا الجميع خسروا، منازلهم، اصدقائهم، وظائفهم، ابائهم، امهاتهم، اخوانهم، خسروا حياة بالكامل.

أنهم هنا لحماية الروح فقط، فأغلب الاجساد تم فقدها مسبقاً، عمو طارق أعطاني رسالة في ورقة،

- عمو، لا تقومي بفتحها، حتى يصل اليوم يأتي به الشخص الذي يقوم بتوصيلكم أنتِ وإيناس إلى منطقتكم، اسمه مصطفى، يعمل ضابطاً في الجيش العراقي، وهناك شخص آخر يدعى إيهاب، يعمل في الشرطة الاتحادية، أي أحد يصل منهم إليكم سيقوم بأخذكم، جميعهم ابنائنا ويداً واحدة مساندين عوائلهم،

وجوههم فيها قبول رسم من السماء، تلك ميزة حماة الأرض دائماً،

- متى، إلى متى سننتظر؟، لم تتبقى عندنا القوة الكافية للانتظار،
- أن شاء الزمن، سيكون في القريب.. أصبحتُ كل يوم أجلس لأتحول إلى شبيهة ذلك الطفل الصغير الذي رأيته في أول مرة من وصولي إلى هنا، أضع رأسي بين ركبتي حتى أتأمل التربة، فتأملي بالسماء قد فاق الحدود إلى أن حفظت النجمات، ورؤية الهلال إلى أن يصبح قمر خطوة ثم خطوة، أنه شيء مرعب جداً أن تترقب كل شيء يتغير إلا أنت، لا زلت في نفس الوقت لم يتغير فيك شيء، غير أنك تحطمت أكثر، رأيته اليوم، لكنه بغير حاله، كان يمسك بقطة صغيرة بيضاء اللون ويضعها في أحضانه بينما كانت تركض في الأرجاء ويبتسم معها، صدمت لتغيره الكبير هذا بعد مرور شهر فقط على أخر مرة رأيته بها منذ وصولنا إلى هنا انعزلنا أنا وإيناس عن الجميع وبقينا في خيمة وحيدين، عندما يحين الليل نقوم بمواساة بعضنا.
- مرحبًا ما اسمك؟ نظر لي بنظرة مخيفة وقرب القطة إلى صدره، كأنه يقول أنها لي لن تأخذيها،
- لا تخف، أريد أن اكون صديقتك، فنحن غرباء هنا،

- يزن، هذا اسمي، وأنا أيضاً غريب.
- لا لا.. لا أريد أن أكون صديقة أحد، سأغادر انتظري يا آنسة ، هل أنا بشع كما أخبرتني أمي، ليبتعد عني كل من يراني؟
- ليس كذلك، لكنني عندما اقترب من أحد سأقوم بضره، ستتجه له الحياة لتقوم بمحاربته بأكملها،
- إذا كان الأمر كذلك، فأنا ايضاً قامت أمي بمعاداتي، فلا يهمني أي شيء أخر، قالت لي ذات مرة "أنت ثقل على كاهلي، متى تتركني! ".
- أنا مريم، اعتقدت أني اعتدت على كل ألم وفقدان، لكن عندما يحصل مرة ثانية، اعود أتألم من جديد، هذا يشبه السيرة الذاتية التي ترافقني منذ شهور مستمرة،
- أظن أنها مؤلمة وتثير الاهتمام في الوقت نفسه من كان يسمع هذا لا بد أنه ستخطر في ذهنه عدة تساؤلات ليكررها في مسمعي، جاعلني اكره اللحظة التي تكلمت فيها، لكن يزن لم يفعل ذلك أبداً وهذا ما جعله يصبح صديقي الصغير في الغربة، لم نستطيع النوم أبداً، كلما يحين وقته تأتي الكوابيس جميعها على طبق جاهزة لتدمير الساعة التي أصبحت منتظرة لوقت طويل، إيناس تريد أن تمسك بيدي قبل أن تحاول النوم، كل ما تقوله: مريم أنا

أرى جميع الناس يأتون لي، لا أستطيع أن انسى أحد، دماء الجميع سكنت في روحي مزاحمة الأحزان لترقد بمكان دون الخروج، أليس من الصعب جداً أن ترى نفسك مذنب؟!، لأنك اخترت المكان أو لأنك خسرت صديقك، وحتى لأنك اتيت بساعة القدوم إلى هنا، مضى الكثير من الوقت، حتى يزن أصبح يأتي ليأكل معنا سويةً وتكلم في العديد من الأشياء المضحكة يريد أن يجعلنا ننسى، أنهُ لا يعلم في اللحظة التي ينكسر فيها الإنسان يصبح النسيان من المستحيلات التي تمضي مع الوقت لكنها لن تتحول إلى فعل حقيقي، فالنسيان أن كان نابع من العقل يمكنك السيطرة عليه، أما إذا كان في قلبك، فأنه لا يقع تحت سيطرتك وأرادتك، الأطفال هنا محملين بأحلامهم مهجرين من ديارهم وكذلك النساء، أتت إلينا امرأة ذات مرة،

- من أنتم، وجوهكم تبدو أنها ليست من هنا؟
- من البصرة ذهلت لتنظر في عيوننا، كيف وصلتم لهذا الحال وأنتم معنا؟
- لا يوجد شخص هنا، غير اللذين يسكنون هذه المناطق وهربوا منها،

- قصتنا أما طويلة أو معقدة بعض الشيء اخذت اروي لها حكايتنا منذ اللحظة الأولى إلى أن وصلنا إلى هنا، شعرت بالأسف علينا، ولماذا حصل كل ذلك ونحن في طريقنا إلى حلم، خسرنا ما لم نتوقعه، ذهبت مسرعة لتحدث الجميع، أنهم من البصرة، هؤلاء الفتيات من البصرة، أظن أنها كانت تملك الفضول بعض الشيء وعندما أنزاح عنها شعرت بالارتياح، فبعد ذلك الحديث لم تأتي إلينا ولم اراها تنظر محدقة من بعيد كما حصل في المرات السابقة، اعتاد الجميع على أن ينادوا علينا عند وصول أي طعام أو ملابس فتيات البصرة لم يعرفوا اسمائنا، كل ما عرفوا هو محافظتنا، اعتدت أن أنظر إلى الطيور وهي تأتي مسرعة تأخذ الطعام الذي يضعه يزن للقطة في باب الخيمة كل يوم، أنها أيضاً جائعة في بلد مليء بكل شيء يمكن أن يشبعك، إلا أنه يأخذ منك ولا يعطيك رغم ذلك نستمر في حبه، أيعقل أن يحب احدهم بلده بهذهِ الشكليات، من فرط الحب تقدم له أناسك قربان بكل سهولة بدون تردد للحظة، لن يفعلها أحد، نحن العراقيين نفعلها دائماً.

أتت في الصباح أم يزن ونحن نلعب معه كرة القدم، كان قد حصل عليها من أحد السيارات التي تأتي كل فترة لتقديم المساعدات، لم أعرف أن هذه

المرأة التي يبدو في ملامحها الكبر أنها والدته إلا أن قالت عجوز كبيرة جداً تجلس معنا كل يوم نسمع أحاديثها عن الزمن القديم إلى أن أتت إلى هنا وكيف تغيرت الحياة معها وخسرت منزلها مع أولادها،

- أنظري يا مريم ماذا: تلك المرأة، أنها والدة يزن وقفت في أطراف المخيمات، انتظرت أن يسرع إليها لتحضنه، لم يفعل ذلك ظننته سيهب يهرول كأي طفل صغير يبلغ سبعة أعوام،
- أختي ريمه، لا اريدها، أحميني منها ،
- لا تقول هكذا يزن أنها والدتك.
- أي والدة؟، هي من رمتني هنا .
- حسنًا أقترب مني دون أن تتكلم بشيء، إيناس تعالي إلى هنا،
- ماذا تريدين يا مريم،
- أمسكي يزن وابقيه معك إلى أن اذهب واتكلم معها.
- حسنًا، كان يزن يذكرنا بأخوتنا الصغار، ونحن نذكره بالعطف الذي افتقده، هذا ما جعلنا نقف يد واحدة، و بين الحين والأخر أفكر هل جميع من التقي بهم صدفة، أم أنهم رسالة شخص أخر، أم أنه الكون اختار هكذا؟، إذا كانت كل تلك الصدف هي تبسيط لنا، لا بد أنها خطة كونية لم تأتي من العبث،
- ماذا تريدين من يزن؟

- أنا والدته، بحقك ما الذي تريده الوالدة من ولدها غير أن يكون بقربها وتعانقه بحضن دافئ؟!
- أنا أعلم ذلك، لكن أنظري من بعيد إليه سترين شعور الخيبة اخذ محيط وجهه بالكامل، كيف ستتواصلين معه الآن؟
- اخبريني قبل الكلام من أنت ومن هي تلك الواقفة مع ولدي؟ عندها سأخبرك كامل القصة.
- أنا مريم وتلك صديقتي إيناس، بدأت احدثها بكل شيء،
- أنتم بنات البصرة .
- آه، من اخبرك ذلك؟، عند مروري من هنا، سمعت عدد من النساء يتحدثن فيما بينهن وذكروكم، صحيح هم دائماً يفعلون ذلك،
- حسنًا غير مهم هذا الشيء، كلميني عندها ربما سنساعدك لتقتربي من يزن،
- أنا كنت أعيش قبل دخول الدولة الإسلامية أو بالأحق داعش إلى مناطقنا مع والد يزن وأنا في منزل صغير في أحياء الموصول القديمة، لكن منذ دخول التنظيم إلينا تغير كل شيء، بعد الضغط المستمر منهم على العوائل والد يزن اسمه يعقوب، قام بالانضمام إليهم، لا أعلم كيف يتم سحب الناس إليهم لكن يوجد حلين أما

أن تقتل أو تنتمي، وعند الدخول يقومون بفرض معتقداتهم الخاطئة إلى أن يتم زرعها وبثها في الأشخاص جميعهم ليتحولوا إلى ما يسمى بالإرهابي.

هذا ما رأيت يعقوب عليه، لم أرى منه غير الضرب لي وليزن بشكل مبرح ومستمر منذ انتمائه، لم يكن بأماكني فعل شيء، غير أني حاولت الهرب مع يزن وعندما حاصرتنا عناصر التنظيم في أحد الطرق، قلت هذا الكلام ليزن وجعلته يهرب مع هذه العوائل من طريق أخر، فعلت ذلك لأني أعلم أنه لن يتركني إلا عندما يكرهني وينزعج من كلامي هذا ما دفعني لأنهار بكلام لم أعلم من أين أتى، وبعد أيام استطعت الهروب لأستمر بالبحث عنه في المخيمات، والآن أنا هنا، لا أعرف ماذا أقول لك، هل يمكن لسوء فهم واحد وكلمات، تغرز كل ذلك الحقد والكره وحتى البعد؟

- سأساعدك حتى يعود يزن إليكِ، هذا وعد مني.
- أنا أعلم أنكم غرباء عن هنا، لكن أعلمي ستكونان اختين لي وصديقات ليزن، أنا ماذا املك بعد الآن في هذه الحياة غيره، كنت أعمل بعد أن تخرجت وتزوجت والآن تدمر كل شيء لم يتبقى لي غيره، هو عائلتي بأكملها، لا اريده أن يصبح كوالده، سأسعى بكل جهدي أن يعيش أنسان وليس وحش، مضى وقت ما يقارب الشهر، إلى أن اقترب يزن من والدته وعانقها ذات يوم

ليتحقق حلمها الذي تمنته من أول لحظة أتت فيها هنا، استمرت بتقديم الشكر إلينا، تحولنا من غرباء إلى عائلة تجمعنا خيمة واحدة تشققت من الشمس لتتحول بعد قرابة الشهرين هنا إلى كرفان، اصبحنا سعداء كأننا نملك منزل، كل يوم أنظر إلى الرجال المرتدين الملابس العسكرية لأسالهم هل تعرفون مصطفى أو إيهاب أنهم من البصرة، لم يعرفهم أحد، اتضح أنني سأفقد الأمل ربما، وأني في أرض لا اعرف عنها شيء ولا أعرف هذا المكان ماذا يسمى، كل الذي اعرفه أني دخلت في مطبات معجزها نحن أحياء إلى الآن في ساعة الظهر، سمعت صوت السيارة يرن ليذهب الناس إلى اخذ المساعدات كالعادة، هذه المرة لم أسرع لأنني أعلم ماذا يكون الجواب منهم، نادت علينا أحد النساء،

- أين بنات البصرة.
- لماذا لم تأتوا؟
- ألا تحتاجون الغذاء؟
- لا يا خالتي، لا نريد نظر أحد إلي، ليسرع رفعت رأسي لأضع يدي على عيوني من الشمس القوية فهي ظهرت بعد أيام من البرودة والغيوم، وقف أمام الشمس ليصد ضوئها ويقف بهيبته، عرفته من وصف عمو طارق، شاب في الثلاثين من عمره، طويل

القامة شعره أسود قصير جداً بالكاد يختفي، له ندبة في وجهه من أثر الحرق، هذه الاوصاف جميعها تشير إلى مصطفى، إذا أنه هو، هل أنتِ مريم وصديقاتها؟

نهضت بحماسي

- نعم، أنا مريم هل أنت مصطفى؟
- نعم، أخبرني العم طارق قبل فترة طويلة وأنا في قيادة العمليات عن حالكم ، وكنت كلما اذهب مع الناس لإيصال المساعدات بأمان، أسال عنكم، الحمد لله أني وجدتكم الآن،
- هل أنتم جاهزين لتذهبوا معي إلى دياركم؟ لم املك القوة الكافية حتى أنهض من مكاني
- إيناس... إيناس، أين ذهبت، سنعود إلى ديارنا سنحتضن أهلنا في كنف الأمان.
- هل تقولين الحقيقة؟
- نعم، وهذا مصطفى بذات نفسه متى سنذهب؟ أي وقت تريدون، سأعود إليكم غدًا بسيارة من مقر العمليات حتى انقلكم، الآن هذه السيارات لنقل المتبرعين، حضرت معهم، انتظروا إلى الغد، هذا اليوم أصبح سنة في عيني، لم يكن بوسعي أن أفعل شيء غير أن أراقب تغيرات الجو كان من الظهر إلى الغروب حتى وصول

الليل، جلس معنا يزن ووالدته، يزن يمسك بيدي، ريمه، هل فعلاً ستغادرون عنا،

- نعم، سأعود مثلما أنت عدت إلى والدتك، سأحتضن والدتي بالضبط مثلك عندما عانقتها أول مرة بعد غياب كبير جداً،
- أنا كتبت لك رسالة، ضعيها مع أغراضك وأقرئيها عندما تذكريني في منزلك،
- أعدك أن أفعل كل هذا، إيناس تعالي بقربي، عانقتها لنبكي لوقت طويل جداً، فتحت الرسالة التي تركها عمو طارق، محتواها فقط: "أنما الحقيقة ليست التي تريها في عينك، كل شيء نابع من يأسك وخوفك، تغلبي عليهم." عرفت قصده على ما نمر به الآن وكيف اخذ مجرى الماء يتخبط فينا، أتى الصباح وجاءت الساعة التي اخبرنا عنها مصطفى، لكنه لم يأتي، شعرت من جديد أن لا فائدة من الانتظار والنظر في الطريق، سنعود إلى الكرفان الخاص فينا،
- مريم ، هيا تعالوا بسرعة ذلك الصوت الذي نتأمله أتى احتضنا عائلتنا الصغيرة التي حصلت في الغربة متكونة من أناس مختلفين يجمعهم دم أرض واحدة، لا بد أن يأتي وقت ونأتي مرة أخرى هنا ونرى تغير الحال، ليعود كل شخص إلى منزله بأفضل حال،

لـن يضـطروا مـرة أخـرى أن يقـاسموا قطعـة الخبـز أو أن تتقاتـل الأطفال على كرة قـدم صـغيرة أتـت مـع المسـاعدات ولا حتـى أن يخسر يزن والدتـه أو أن تضـطر والدتـه لتتخلـى عـن والـدها مـرة أخرى، كان ذلك مخبأ بين أدعيتي الكـثيرة، تراجعـت خطـواتي كأني أنظر بزهراء وهي واقفة تنظر إلينـا بابتسـامة ألم وحـزن أن ترى عائلتها أيضاً مريم، هيا إلى ماذا تنظرين؟

- لا شيء، هيا لنذهب، اعطيها كلمـة مـن صـديقتها أن تعـود مـرة أخرى إليها، لنذهب ونترك جزء أخر منا،

بنى أيضـاً حكايـة في مكـان لا يعرفـه مـع نـاس لا يعـرف غـير اسمـائهم مجتمعين تحت نفـس الألم دون المعتقـد ولا الهويـة، سـرنا بطريـقٍ جديـد يعـود بنـا إلى منازلنـا ، كانـت البدايـة بفتيـات صـغيرات حـاملات حلـم المراهقة على أكتافهن لتكون حياة سهلة وبسيطة ، وأثناء العودة كانت مـن نساء خضـن معـارك مـع أنفسـهن والمحـيط لأجـل صـنع قصـة تخلـد في الأذهان عند الانتهاء من هذه النكبـة، ألقيـت النظـر علـى يـداي ، الآثـار الماضية لا زالت عليها علامات الضرب الثقل الجروح كلها تغيرت بعـد أن كانت المناكير مزينة بـألوان مختلفـة في هـذه الأيـادي ،كـان عنـاق والـدي الوحيد الذي أشعر به، أصابع زهرتي الـتي أذبلتهـا الحيـاة مبكـرًا لتأخـذ عمرها في طبق خاطف الأزهار الجميلة ذات الثمار الطيبة، جميعها حملـت

على رأسي لأعود بها إلى وطني الذي لم يعلمني أن هناك عالم موحش في الخارج عند الخروج من منزل العائلة الدافئ لا بد أن يعلموك أن كل شيء خارج نطاق المنزل ليس أمان، لا أمان لك غير نفسك، أن لا تعيش المخاوف، لأنها ستتحقق حتما كانت نظراتنا أنا وإيناس ، تتخاطف على يمين السيارة ويسارها، نخاف أن نضطر مرة أخرى أن نعيش لحظة الخذلان والهزيمة،

- عليكم أن لا تشعروا بأي خوف
- انظروا إلى تلك الاتجاهات، جميعهم جنودنا هنا، لا زلنا في قوة يد واحدة وسنعيد أرضنا إلى اهلها في يوم،

جميعنا واحد، أعطينا عدد من الشهداء لا يحصى ومن كل لواء وفرقة وقوة أمنية هناك العشرات من شهدائنا دمائهم ستنبت انتصار في هذه التربة، لم تعلق أجسادهم بين وحوش القاعدة عبثاً ولم تعلوا ابتسامتهم على ثغرهم من فراغ، أنها رسالة الانتصار التي يهابها الإرهاب، عندما يبلغ الجنود بعض المناطق مثل تل فارس في جنوب تلعفر، هناك حيث الحرارة تأكل بأجسامهم ورياتهم ترفرف عالية والتراب مع الهواء يصل إلى حناجرهم، كيف يمكن أن يذهبوا من أجل بعض المال، أنه فقط للأثبات والصمود على الحق والحقيقة، حتى لا يتوسع انتشار جرذان الإرهاب في مناطقنا جميعها ليسيطروا عليها، هناك اشلاء كانت ترمى في الشوارع بعد انفجار

سيارات تم تفخيخها من قبل القاعدة، كانت هذه الاشلاء لأطفال هربوا من أجل اللوذ بأرواحهم، لكن كان الموت ملاحقهم في كل توقيت، أليس هذا محزن جداً؟ في كل ليلة لا يستطيع أي فرد أن ينام فينا، ونحن إلى الآن لم نحرر أرضنا ونرى كل تلك الجثث على هيئة سطر أمام عيوننا، أيمكن أن لا نفعل شيء؟ ما نشعر به في كل لحظة، هي عندما نجلس دقائق حتى نريح أنفسنا، لا بد هناك أحد يموت في الطرف الأخر ينتظرنا أن نصل إليه، وهذا يعطينا الحافز حتى نستمر رغم الإصابات والشهداء التي تسقط في كل لحظة،

- عندما تصلوا إلى دياركم، أخبروا عوائلكم، عن كل شيء كان امامكم، اخبروهم أنكم أبطال صنعوا قصة بأنفسكم فقط، اخبروهم أنكم لم تكونوا وحدكم، كان دعائهم وأملهم بعودتكم هو الانتصار، هناك مجرمين يريدوا أخذ هذه الأرض وفي جهة هناك أبطال يقاتلوهم، يتحدوا يد واحدة من أجل ارض جميعنا يسكنها، مهما حاولوا مع التاريخ لن يستطيعوا أن يمحوا هذه القصص ولا دماء الشهداء، أنها لا زالت في كل بقاع هذه الأرض، حرب صنعت من صغيرنا أسد ومن كبارنا فهود، لم يكن هناك فرق بين أحد وأخر فجميعهم على ذات الهدف وجميعهم بتلك القوة،

- ماهي اسماء والديكم، لا بد أني اعرفهم، أخذتُ اتحدث معه أريدُ أن أعلم كيف حال والدي،
- والدي اسمه "محمد فارس علي " هل تعرفه؟ كان هنا، هو أيضاً يعمل معكم، يذهب هناك ينقل الأشخاص الذين يحاولوا الهجرة ولا يستطيعوا سمعت باسمه قبل فترة أيضاً كان أحد أبطالنا لكنه،
- أبي اخبرني أني عندما أعود إلى المنزل سأجده ينتظرني هناك،
- يعني ألم يخبرك أحد؟
- بماذا؟ لا شيء، اقصد أن يخبروك عن المناطق هذه وسيطرة الإرهاب عليها،
- لا لم يفعل أحد ذلك، لأنه عندما خرجنا لم نعرف شيء عن كل هذا، حسنًا أتركوا التفكير سنصل عن قريب كان لسانه متردد جداً، لا أعرف ماذا كان يقصد، ولماذا بدأ على وجهه التغير المفاجئ لا يهم ذلك، الأهم أن نصل تحدثت إيناس عن والدها ،
- والدي يعمل معلم في المدرسة الإبتدائية،

لكنه شديد جداً معي، لا أعرف كيف أكلمه عن كل شيء حصل فينا هل سوف يشعر بالفخر أم الخزي؟ هل يتمنى موتي أم عودتي؟ كنتُ أول مرة أسمع هذا منها رغم طوال تلك الفترة التي مضت ونحن مع بعض، إلا

أنـني لم أفـتح معهـا الحـديث بهـذا الشـأن، انتظـرت أن يـأتي الوقـت لتحدثني عن ذلك، إيناس أيما كـان، أنـه والـدك لا بـد أنـه الآن متأمـل لحظة عودتك، وعنـدما تـدخلين علـيهم سـيفرح بـذلك، لا تخلقـي أوهـام تجرك إلى حزن أكبر، أتمنى أن كـل مـا تقـولي يـا مـريم يكـون حقيقيـة، عندما نصل إلى منزلك، هل تريدين مني أن أدخل معك؟

- لا يحتاج ذلك، سأتصل عليك عن طريق أقاربنا في منطقتكم،
- حسنًا، رغم أنه لم يبقى الكثير حتى نصل إلا أن لا شيء يـدفعني للحماس، تركت في كل مكان جزء مني مفقود، كيـف يمكـنهم أن يعودوا عنـدما اعـود إلى مـنطقتي كيـف سـأخبر والـدة زهـراء عـن أبنتها وهي كانت مسؤوليتي، كيف سأرى أمـي ومـا هـو تفكيرهـا عني، أنا أتمنى أن تسـتمر السـيارة هكـذا دون توقـف، في حـيرة تكاد تضـيق أنفاسـي، وصـلنا إلى بصـرتنا، حيـث الأمـل والحـب والعطف هنا حيث رائحة الأمان تسير في الشوارع وحـدها، هنـاك كل شيء في مكانه لكني أشعر بـتغير كـبير، حـدث ذلـك عنـدي وليس في المكان، الجميع يعيش حياته، إلا عندنا توقفـت هنـاك، ما قبل أن نكون على حافة النهاية، وصلنا إلى منزل إيناس، بعـد مدة طويلة وهي لم تذكر طريق منزلها شعرت بالارتباك والرجفة في جسدها بالكامل، لا تريد أن تنزل، حتى أتى في عقلي اسئلة هـل

تأثير تلك المدة جعلها تنسى الطريق، أم هي اوهمت نفسها بالنسيان، نزلت في ببطء جداً،

- إيناس انزلي، ألم تشتاقي لعائلتك،
- حسنًا اتكئي على كتفي، وصلنا إلى الباب أردتُ أن أدخل معها،
- مريم اذهبي الآن، أنا سأكمل طريقي.
- حسنًا كما تريدي، لكن تواصلي معي،
- أن شاء الزمن والقدر وصلت إلى منطقتي، كان كل شيء تغير فيها، صور الشهداء ملئت جميع شوارعنا في أي فرع ندخل كان هناك ما يقارب صور خمسة شهداء، حتى أني فكرت، لم يتبقى هناك أحد، كان بين تلك الصور، صورة كبيرة جداً، رأيت فيها صورة أبي، هل أنا من شوقي له اصبحت أراهُ في الصور أيضاً لكن الكتابة التي تحتها رعبتني،
- مصطفى، اوقف السيارة وأنظر ماذا مكتوب تحت تلك الصورة الشهيد المجاهد البطل "محمد فارس علي" الذي نال شرف الدفاع عن الوطن ومقدساته في قاطع عمليات نينوى يوم 2014/9/17 ،هل هذا ما ترى أنت؟

- اخبرني أني أصبحت أتوهم كل شيء توقف مصطفى وصمت، نزلت من السيارة، لأركض محتضنه الصورة الكبيرة، وقعت بجانبها وأنا أبكي، هل هذا أبي حقاً، لكني رأيته عندما جاء بجانبي هناك ووعدني أني سأجده في المنزل، كان بعد هذا التاريخ المذكور في الصورة جميع صديقاتي عرفوا وتكلم معهم، سأتصل بمريم لأخبرها أنها رأته أيضاً حتى يعلم الجميع أنه لا زال حي أيضاً، كل شيء كذبة كل شيء ليس حقيقي، أيعقل أن كوابيس الطفولة صارت حقيقة، سأركض إلى أمي واخبرها بكل شيء، مصطفى تكلم معي، لم أستطيع أن افهم ما يقوله اخذت اتحرك بدون حذاء في أقدامي والصورة في يدي بعد أن قمت بأخذها من الحائط كيف له أن يسرق والدي، كانت النظرات تتجه إلى مظهري من كل جانب في الشارع، لماذا يفعلوا كل هذا؟ يجب أن يتحمدوا بالسلامة لشخص لم يأتي إلا بعد شهور كثيرة من الموت ، إلا أنهم ممتلئين بعيون تريد أن تقوم بقضمي وأكلي من الأرض،" أنه لم يمت، أبي حي "لا زلتُ اردد هكذا دون الاهتمام بأي شيء أخر، الوصول كل شيء الآن، أريدُ شيء يرفعني من الأرض تلك الدقائق للمنزل أصبحت أعوام تعيد ذكرياتي بصورة الفلم الوثائقي لعودة شخص عاش في كهف لسنين، هكذا نظرتُ

إلى نفسي، كانت الصورة معلقة على باب منزلنا، أنها صورة والدي، اسرعت بالركض إلى داخل المنزل، كل شيء لم يبقى على حالة كما تركته، الحزن في ارجاء المنزل، جميع الزرع الأخضر قد يبس ومات لم تبقى إلا الجذور متمسكة لكنها ميته، اصوات أخوتي التي كانت في كل زوايا المنزل اختفت، أصبح كأنه هجر قبل سنين طويلة،

- ماما، جاءت أبنتك ريمه، ماما... ماما كانت متمددة على الفراش، مرتدية الون الأسود، قامت من مكانها وسقطت،
- أين كنتي، ماذا فعلتي بحالنا، تعالي إلى حضني لا أستطيع أن أصل اليكِ أخذتُ ازحف على ركبتي توقفت حركتي بكاملها في أقدامي، وأخذتُ اصل إليها، شعرت لأول مرة هل يمكن أن تعانق السماء الأرض مرحبة بها بعد طول زمن، كانت أمي تقبلني بكل جانب اخذت يداي وقبلتهم في مكان الجروح التي حصلت، هنا شعرت أني شفيت من كل ندبة،
- أمي، أين أبي، أين صلاح،
- أنظري هذه الصورة هي كذب أليس كذلك، أبي لم يستشهد، هو ينتظرني؟

- قولي نعم يا أمي قولي حتى صوتي أختفى، لم يكن بمقدوري البكاء ولا حتى الصياح
- يمه... ريمه.. انتظري، والدك أستشهد منذ اربعة أشهر، أنظري في عيوني وفي هذا السواد، كان يريد أن يبحث عنك حتى أتت اللحظة التي أضطر فيها أن يتطوع للجهاد، أخبرني من خلال هذا الطريق سيجدك في أحد المناطق، الجميع فقد الأمل بالعثور عليك، لكنه فقط من عرف أنكِ لا زلتي على قيد الحياة، هذهِ الصورة حقيقية وكل شيء كان حقيقي،
- أمي، أبي هو من ساعدنا في الخروج من تلك المنطقة، وكان ذلك في الشهر العاشر من هذه السنة، إذًا قولي لي كيف له أن يستشهد وبعدها يتواصل معي ويجدني؟
- ما الذي تقولينه أنتِ؟
- اقول الحقيقة التي لا يصدقها أحد فيكم، لو كانت زهراء موجودة الآن، لكانت قالت لكم كل شيء،
- تعالي أقتربِ لأحضنك بين يدي ليلامس وجهك إلى بشرتي ربما عندها سأشعر بوجودك حقاً، وعندها ستعرفين أن كل ذلك ليس واقع لا.. أنا اعرف أنه حي، لماذا جميعكم تبكون، انهضي يا أمي وانزعي السواد اخبري أخوتي جميعهم أن يتوقفوا عن البكاء

وينهضوا، لماذا تغلقون التلفاز، لا نفعل ذلك إلا عندما يكون ميت لنا عزيز، ووالدي حي، لا تنطقون على روحه السلام وهو بسلامة،

- صلاح أين صلاح هو يفهم أني اقول الصح.
- سيأتي في القريب من منزل جدك، أنا أتوسل بكِ أن لا تفسدي تلك الفرحة التي دخلت قلبي بعودتك إن تتكلمي هكذا، سأشعر عندها أني فقدتك إلى الأبد،
- أخذت اتكلم مع نفسي، ما المبتغى من رحلتي هذه وما الغاية من لقائي مع أبي، إذا كانوا يقولون هكذا دخل صلاح، أسرع لي واحتضنني،
- صلاح ماذا حدث مع أبي، أريدُ أن ارى وجهه الآن، ما هذه الصورة؟ وماذا تقصد أمي؟
- أنت تعلم أن كلامه الوحيد هو الذي مكنني من الاستمرار رغم أن كل لحظة هي كانت موتي، أبي أنه تحفتي الفنية الإبداعية الوحيدة هل يفهم أحد منكم كل هذا الكلام؟ ماذا أفعل؟ أستمر ذلك الحال لعدة أيام وأنا احبس نفسي في غرفتي، لا زلت أدون مذكراتي وأنا أتمنى أن يأتي أبي ليخبرهم بالحقيقة، اجتمع جميع الاقارب في منزلنا يريدون أن يروني، هل هي المباركة

بسلامتي أم الشماتة بظهوري في هذا الحال، لم أسمع غير بكاء أمي معهم وهي تذكر أبي، والدة زهراء، قامت بعمل عزاء لها بعد أن أخبرتها بكل شيء هي كانت متأكدة من موتها أنه شعور الأم الذي لا يخيب، قالت:

- كنتُ أعلم أنها ماتت لكني لم أعرف أنها كانت شهيدة لم أركز في معنى تلك الكلمة جملتها جعلتني استرجع كل شريط قضيته هناك، أجلس في زوايا المنزل أنظر إلى صورة زهراء بيأس أن تكون أمنيتي، ذهبت معها ولم يحصل كل هذا الآن، جلست بجانبي والدتها وهي منكسرة ومهزومة،
- أبنتي والدتك بحاجة إليك الآن، هي فقدت والدك، لا تكوني هزيمتها الأخرى، أما زهراء أنا فخورة بأنها فعلت كل ذلك وأنتم فتيات أثبتوا لكل شخص في هذا المجتمع الضعيف أن الفتاة قادرة أن تفعل المستحيل، اخبرتني أمي إن والدي ترك لي مذكرته في أخر مرة ذهب فيها ليعود في تابوت من الخشب، قالت أنه قال هذه ذكرى لريمه عند عودتها إليكم، ماذا رأى والدي كي يلتمس كل ذلك الحب والأمل فيه كانت في الساعة الثالثة بعد الظهر، عندما دقت الباب أمي لتخبرني بأن اخرج، جاءت صديقتي إيناس التي كانت معي تريد أن تحدثني،

أسرعت وأنا أعرف أنها ستخبرهم كل شيء، هي رأت أبي وأن كلامي لم يكن كذب،

- إيناس، لقد اشتقت إليك وأنا أيضاً يا مريم، اخبرتني عمتي بما يحصل، جعلت والدي يخرج إلى دوامه وأتيت مع والدتي، اعرف أنه لن يوافق، فمنذ رجوعي وهو ينظر لي تحت لسانه كلمات أتمنى أنكِ كنتِ ميته هذا ما يقوله قلبي له من نظراته التي تكسرني أضعاف الألم الذي احضرته معي،
- ذلك ليس حديثنا، اخبريني عن حالك أنتِ؟
- إيناس أنت رأيتِ أبي هناك، تكلمي بكل شيء، تذكرين عندما اخرجنا من تلك المنطقة التي كان فيها عمو قيس، واخذنا في السيارة بعدها تحدثت أنا معه عن كل شيء،
- مريم ما الذي تتكلمين عنه؟
- لم نرى والدك هناك أبداً يا إيناس كان هناك!
- لا، مريم ، لم يكن هو، كان هناك أفراد من الحشد الشعبي نقلونا بعد أن سلمنا عمو قيس إليهم، عندها أنتِ اصبحتِ ترين والدك بينهم وتقولين لنا أنه اخبرك بكل هذا، لكننا كنا نعلم أنتِ تتحدثين مع نفسك وأصبحنا نتماشى معك خوفًا عليكِ، إلا أن استشهدت زهراء عندها تركتي كل تلك الفكرة،

- هل تقولين أنني أكذب؟
- ليس هكذا، لكنك في خيال كبير، فكري في عقلك، لو كان والدك حقاً، هل سيتركك في تلك الصحاري وذلك العذاب،
- ليس هكذا، لكنه أخبرني سيعود جلستُ في الأرض وأنا متألمة،
- أيعقل أني لم يبقى لي عقل،
- مريم حتى أن كان ذلك وهم، لكنه ساعدك حتى تصلي إلى هنا اليوم بفضله، كوني ممتنه حتى للحظات خيالك، عادة ننقذ انفسنا بهروبنا إلى الخيال، عندها نقوم بتخيل اشياء كما نريدها تماماً لنجد انفسنا عبرنا من خلالها محطات كثيرة، فالواقع يصبح مخيف أكثر، لا أعرف من الذي يقول الحقيقة، لكن هنا تذكرت أن كل شيء كان من رسالات السماء عن طريق أبي عندما قالت زهراء أنه شخص عزيز عليكِ عندما تركني وأنا ممسكة بيده، لم أرى أي أحد تأثر كنت أنا فقط عندما قال عمو قيس، أن الحياة صغيرة جداً لتلتقي حتى بأشخاص غادروا العالم جميعها كانت رسالة لي وأنا فقط من أختلف عنده كل شيء، الآمال تذهب وتعود لكني اليوم فقدتها جميعا، غادرني من أحببتهم بكل جوارحي، زهراء، أبي، السعادة الوحيدة التي أملكها بشأنهم أنهم لم يكونوا موتى عاديين كانوا شهداء ذلك

جعلني أصبر كل يوم فقط وأنا أنظر إلى صورهم معلقة وانتظر اللحظة التي أعود بها إلى قبر زهراء، واذهب لأزور والدي وحتى لأرى عمو قيس، وأمسك بيد يزن حتى نعود أصدقاء مرة أخرى نلعب بذات الكرة وأخذ تلك القطة منه في أمل أن يعطيها لي، نسيت أن اخبره أنني أحببتها لأني كنت أعلم سيأخذها ويسلمها بيدي رغم حبه لها، أنظر كل يوم إلى الفيديوهات التي كان ينشرها الإرهاب، تمنيت أن لا أظهر في أحدهم أنا وصديقاتي حتى لا يقولوا عنا الجميع في المنطقة، "كانوا نساء الإرهاب "تلك كلماتهم التي أصبحت أسمعها في الخفية من أحد لأخر، حتى أصبحت لا أستطيع الخروج من المنزل خوفًا من أن اتحول إلى سبورة ليكتبوا عليها ما يحلو لهم، تدريجيّا بمرور الأيام تذكرت أني املك معلومات عديدة عنهم كنت أسمعها عندما يجلسون مع أشخاص ذوي شخصيات كبيرة في دولتهم الإرهابية، قمت بتدوينها جميعًا في دفتر صغير وضعته في حقيبتي دائمًا، تواصلت مع مصطفى عندما علمت أنه عقيد، فقد ترك رقمه عند الحاجة إليه في أخر مرة أحضرني، اخبرته أني سأرسل له هذا الدفتر مع أخي صلاح إلى منطقتهم، المستقبل الجديد اليوم سنة جديدة بدأت والامنيات كالعادة تعلق في زوايا شجرة عيد الميلاد، من

الامنيات الأولى التي تظهر واتفق عليها الجميع "أن يتم تحرير بلدنا من الإرهاب" ظهر مصطفى في أحد الشاشات على التلفاز، تكلم عن قصتنا دون أن يذكر الأسماء، وقال أنه بمساعدتنا استطاعوا أن يعرفوا الكثير عنهم، ذلك الشيء الذي جعلني أفتخر بنفسي وأني لم أخسر شيء بل صنعنا حكاية عظيمة، تمنيت أن يسمع ذلك الكلام أبي وهو حاضر اليوم أو تكون بقربي زهراء، أتصل مصطفى قال هناك العديد من القنوات تريد اللقاء بأحدنا لتتكلم عن رحلتها وخلاصها من الموت، اخبرته أننا نريد أن نكون مجهولين إلى الأبد، أن يتم ذكرنا على أننا فتيات الحديث القويات اللواتي استطعن الهروب من أقبح منظمة إرهابية ظهرت في الوجود، هذا الشيء يجعلنا أكثر فخراً وحتى لا يتم جرحنا بكلمات أو بقصص خيالية تنبعث من مزاج العديد الذين يظهرون خلف الهاتف دون أن يعلموا شيء عن الواقع ولا رأوا مدى بشاعته إن تبقى بقرب وحوش جائعة على طوال الوقت، تحضر لهم الطعام وتتمنى أن تملك السم حتى تتخلص منهم لكنك لا تملك شيء، أن ترى والدك وهو شهيد ليس بسبب الخراب الذي في عقلك أنما فقط لأنك بحاجته وتريد أن تهرب من كل شيء يحصل فوق طاقتك،

حتى تعيش في الخيال الذي إن وصل حد غير معقول ربما سيقتلك ويجعل منك رمز سخرية أمام كل الذي يعرفك، لم يكونوا مجرمين فقط، كانوا كل شيء يشير إلى السوء، سارقين الأرض وأهلها، متخذين من الدماء لوحة لرسوماتهم الخبيثة، أنت تنظر إلى هؤلاء المنقذين من قواتنا الامنية جميعهم ومنهم أبطال الحشد لترى الكلام عنهم في عدة اماكن من بعض أشخاص لا يملكون الهوية الوطنية الحقيقية، ليصفوهم بمثابة المجرمين، إلا أن هؤلاء، لم يختارون طريقهم أنما أختارهم الله، منهم يصل عمره سبعة عشر عام وأخر يصل إلى السبعين عام من جميع الفئات تحملت كل شيء، من الهجوم والمواجهة المباشرة مع القاعدة تحت نفس الغاية ويملكون نفس المبدأ، إلا أن ذلك الكلام لم يمنعهم أن يفعلوا كل هذا بل زاد اصرارهم، أما نحن ضعيفات للغاية، نخاف على عوائلنا، أنظر إلى حالي أنا لا أستطيع أن اكسر أمي في طريقة أخرى، اريدها أن تبقى هكذا، أريد الهدوء الذي خسرنا بطريقة فجائية ومؤلمة، أما إيناس فوالدها لوحده يكفي لطاقتها لا تريد شيء أكثر من ذلك، مر كل ذلك الوقت ونحن نحاول أن ننسى ولو أرباع ما حصل، فكيف الآن نعيد كل شيء منذ أول خطوة وكأننا لم نمضي إلى الأمام أبدًا، عند الخروج مرة واحدة ستعثر في خطواتك وأنت ترى صور الشهداء وعددهم، تحت انارة كل عمود كهرباء هناك صورة، لشاب وأخرى لكبير، جميعهم ينظرون إليهم

عوائلهم في كل يوم متألمين على فراقهم، هل يعقل أن الانارة تضيء من الكهرباء أم من الشهداء؟! ، فكل سنة تمضي وكل دقيقة يسقط هناك شهيد لترى صورته في اليوم التالي لصقت على الحائط ليبقى ذكرى في عقول كل معارفه، لكنه سيكون ذكرى جميلة حتمًا، الذي لم يمت بالحرب التي مضت سيموت بالقادمة هكذا نعيش حياتنا في العراق، لم نريح أنفسنا إلا لفترة قليلة، بعدها تجد نفسك تخوض حرب بشكل مختلف، أخاف أن أخرج واجد والدي هناك بينهم، بدأت أتقبل رحيله لكني لن أصدقة، سأعيش في ذكرياته إلى الأبد حتى وأن أستمرت الحياة في التقدم، عندما تفقده، هناك جزء بين الحين و الأخر لا بد أن تفتح بابه وتشعر بالوحشة الكبيرة التي تركها لك كل شخص فقدته،

حتى وأن مرت سنتان كاملتين على رحيل أبي إلا أنه يسكن في قلبي هناك له منزل لا يهدمه أحد، الرسالة المنقذة قررت أن أفتح الرسالة التي تركها لي، طوال تلك الفترة لم أملك القوة الكافية حتى أقترب إليها وابدأ بقراءتها، كانت مخبأة بين الكتب التي على الرفوف، كان أبي دائماً قد تعود على قراءتها، الآن لم يلمسها أحد حتى انتشرت الحشرات وهي تبني منازلها على رف كل كتاب قديم، السلام عليكم "صديقتي الحنونة ""أبنتي ريمه، أنا والدك أعلم عند الوقت الذي تفتحين فيه هذه الرسالة قد لا اكون موجود معك، فبين ثنايا الموت هناك يعيش الأبطال، تخرج من

الأحلام لتعيش في متاهة، الحياة هكذا تبدو عميقة بكثرة الناس والطرق والمدن والاحلام، لكنها صغيرة جداً فبأي صدفة تلتقي بشخص كان في أخر محطات الأرض تظنها واسعة لكنها تضيق لتصل إلى مبتغاك، ويصبح هذا جزء من رحلتك في الاستمرار، تنظيم الارواق ليس بيد المستقبل أنما بيدك الآن وبحاضرك، أنتِ وحدك كافية حتى تغيري كل شيء، ربما سيخبرك أحدهم أن يد واحدة لا تكفي حتى تفوز في شيء، أخبريهم أنك ستنظرين ليدك وإلى السماء، هناك خطط القوة الكافية، عندما ولدتي اول مرة كان الجميع يتحدث أنك بنت وأن محمد أصبح لديه فتاة كبيرة وليس ولد، لم يكن يهمني أي شيء من كلامهم، كل ما خطر في ذهني هو كيف سأكون لك صديق قبل أن أكون أب؟، كيف سأعتني بك ولا أقصر في حقك أبداً؟ ، كنت أفكر كل يوم كيف ستنظرين إلى عيون والدك عندما تكبرين، هل يكون بطلك أو خسارتك، أردت أن أكون سندك وحنانك وقوتك حتى لا يكون فراغ يجعلك تضعفين بأي كلمة حنونه واحدة من غريب لم يعرفك ، قد لا ترين كل هذه المشاعر التي أكتبها في الواقع وستنبهرين لماذا أكتب كل هذا الآن، لكنني في يقين أنك ستأتين إلى هذا المنزل باحثة عن والدك لتحضنيه، رغم كتماننا لمشاعرنا طوال الزمن، لكن ستنفجر في لحظة اشتياق لا متناهية، هناك من يأتي بمقولة كل من يبتعد عن عينيك سيختفي من الذاكرة، لكنني منذ ذهابك وأنا مهزوم ومنكسر،

لم أترك أي محاولة ولم أفعلها، حتى أتاحت لي الحياة هذه الفرصة لأصل إليك، ربما سنلتقي في أي فرصة وأي لحظة وأي مكان هكذا تصبح الحياة صغيرة جداً، كوني على يقين أن والدك يحبك جداً من أعماق قلبه، كنتِ أول انتصاراته وأول هزائمه، الجميع متوهم أنكِ لن تعودي، لكن قلبي الذي أرتبط بك يخبرني عكس ذلك، انتبهي على عائلتك، حققي أحلامك، أسندي أخوتك مثلما كنت أنا سندك ، ربما عندما تكوني موجودة ستقولين لماذا كان أبي يكتب كل هذا الكلام؟ لكنني أعلم أن هذا الطريق هو طريق الشهادة عندما تذهب إليه سيكون سلام الوداع الأخير لعائلتك لأنك تعلم أنك ذاهب لتحضن نيران الموت وتبتسم لها اليوم أخوتك هنا، اردتك بينهم ، أنا آسف لك، لكن لا يفيد التأسف الآن ، أنا أعرف أن أمك ستبقى تنظر في صورتك كل يوم قبل أن تضعها تحت رأسها لتنام ،لكن في الصباح تقول لأخوتك، ريمه لن تأتي اذهبوا إلى مدارسكم، الجميع يعلم أن دخول هكذا منظمة إرهابية إلى بلدنا أوقفت الحركة أصبحت كأي فيروس ينتشر لكن لا بد أن تنهض مجموعات لتقف كحائط الصد أمام هذا الفيروس، أردتُ أن أنال شرف هذا الجدار الحامي للأخرين، ألا تفتخرين بي الآن، عندما احضر في مخيلتك وعلى لسانك اخبري، الجميع أن أباك كان أحد الحماة عن هذا البلد. "من والدك الذي ينظر إليك في كل خطوة محمد. كانت هذه الرسالة هي الفاصل الوحيد

الذي جعلني أنظر إلى الأمام وليس الخلف، ابتسامة زهراء في الحلم، عيون يزن وهي تودعني، الأمل الذي يملكه عمو قيس رغم أنه كسر من ولده، جميعها تفاصيل حفرت في فكري، طويت الورقة بيد ناعمة وقبلتها بيدي، احضرت إطار كبير ووضعت فيه هذه الرسالة، ألتفتت إلى المكتبة، احضرت مكنسة كبيرة، قمت بتنظيف مكتبة أبي، ازحت الستار عن الشبابيك لتسقط أضواء الشمس منعكسة على صورة أبي في ملابسة ذات القوة ويكتب تحتها المجاهد الذي أستشهد دفاعًا عن الأرض، كانت تلك رسالة اخرى مستهدفة أفكاري، انتهيت من ترتيب كل شيء ألقيت التحية لتلك الصورة وبقربها الرسالة.

اعلان التحرير اليوم في الموعد الموضوع من قبل الدولة العراقية لإعلان تحرير مناطقنا من براثين الوحوش، منذُ بدأ انطلاق ساعة الصفر بعد خمس سنوات، أضع رواية لكل ما حدث معي في تلك السنة المدمرة في الاوراق ليرى العالم قبح ما حصل ويعلموا من هم الأبطال الحقيقين، على مكتبة أبي وأنا في وجهة ابتسامة كبيرة تظهر في المرآة التي تغير هيئتها لتسعدني فيظهر خلفي والدي في صورته ورسالته معلقين وأنا ممسكة هذه الرواية، ادرت التلفاز على أحد القنوات الإخبارية ، ظهر أحد الشخصيات في دولتنا العراقية وهو يعلن لحظة النصر والتحرير كان هذا التاريخ لن يستطيع أي أحد يمحي من ذاكرته "نعلن لكم اليوم تحرير

جميع مناطقنا من عناصر القاعدة الإرهابية " رقص أخوتي الصغار، أكرم، حسن، إيمان، رشا، لأول مرة سمعت أمي تهلهل بأعلى صوتها، قام صلاح ينثر الحلوى على رؤوسنا، الضحكات عادت تتعالى بينهم منذ رحيلي في أخر مرة لم ارى هذا أبداً، وكأنه يوم تخرج العراق بعد دراسة لمدة خمس سنوات من السهر والتضحيات لكن هذه الدراسة الوحيدة التي أخذت شهداء كثر، اليوم لا بد الجميع سعداء، سيعود الجميع إلى أرضه، هذه التي كنا ننتظرها كثيراً، اليوم يلامس قلبي شعور الانتصار بعد الصبر الطويل، سوف يكرم كل من أخذت منه الأرض دم ولده، في هذه اللحظة عرفت أن طوال تلك الأيام التي مضت كانت صورة أبي تحمينا ورسالته تخبرنا أنه في كل وقت ينظر إلينا ويقف خلفنا كأنه درع، الكتب في كل ناحية، الكاميرات تلتقط الصور، وأنا اشاهد صورتنا أنا وزهراء وإيناس التي كانت في المطعم في الطريق قبل أخر مرة ذهبنا فيها التي أخذتنا إلى العتمة، تلك الصورة كانت في هاتف والدة زهراء، احتفظت فيها لأرى أنه مهما زادت الانتصارات ستبقى هناك خسارات لا تعوض كأبي وزهراء، نادت علي والدتي وهي تخبرني أنهم ينادوني من أجل بدأ حفل توقيع الرواية، بعد قراءة تلك الرواية، أسميتها "فتيات ما بين الإرهاب والحق "ظهر والد إيناس معها في ذلك الحفل ليعرف أن أبنته هي نصره، طوال

هـذه السـنوات كانـت إينـاس تخبرنـي والـدها لم يسـندها بكلماتـه الـتي احتاجتها،

- عمـو، مـريم أنـا لا أعـرف كيـف أشـكرك بعـد أن اسـتطعتِ أن تغيري كل تفكيري، إيناس لم تكن أي فتاة أصـبحت القـوة الـتي أفتخر فيها، جميعكم خرجتم بأعجوبة من تلك البقعة التي لوثهـا الإرهاب، لكن اليوم بعد أن شهدنا التحرير أطلقتِ روايتـك، هـذه انتصارات علينا أن نحمد الله عليها، كانـت إينـاس تتواصـل مـع طبيبة نفسية كي تحاول نسـيان تلـك الفـترة المضـرة الـتي قضـتها هناك وما عانته من التعايش معهم، أنـا كـل ليلـة أذكـر كـل الألم الذي تسببوا به لنا، لم يعلم والدها بأي شيء، لكن عنـدما وقفـت عائلتها معها وعادوا لمساندتها، أصبحوا هم علاجها النفسي، فمن لا يجد الملجأ في عائلته ستضيق بـه الأرض كاملـة، وهـذه الاشـهر التي كنـا فيهـا هنـاك، جعلتنـا نتعـالج إلى الان، مـا لا تسـتطيع الـذاكرة محيـه ولا الوقـت، سـينتهي عنـد الـتخلص منـه، بـين الجميع ظهر يزن ووالدته، تقدم مصطفى وهناك حضر عمـو قـيس على عكازته، فوجئت من وجود الجميع في نفس المكـان اخبرنـي صلاح، أنه احضر هدية لإكمالي روايتي بعـد خمـس سـنوات مـن الانقطاع، كانت هذه المفاجأة، نشـر اعـلان ودعـوة إلى الاشـخاص

الذين كنت افتقدهم جداً وهم من أسباب وجودي الآن، جميعهم دونت اسمائهم، كنت في كل حرف أكتبه، اتساءل عن حالهم وما الذي تغير معهم، لكن قال والدي، الحياة صغيرة جداً عندما تريدين شيء، يتمحور جميع من فيها ليجعلك تصلي إليه، لقد كبر الجميع، كأنه الأمر بالأمس هذا ما حصل عندما رأيتهم لأول مرة، قتل ولد عمو قيس مع عناصر القاعدة، لكنه لا زال يضحك هذا الأمل الذي كنت أريده، أصبحت والدة يزن تعمل مدرسة بعد أن هاجروا إلى الجنوب وادخلته في المدرسة، الشيء الذي كانت تتمناه، أتمنى أن يحصل كل من فقد عائلته على العوض، ليس المادي لأنه لن يعيد فردًا دفن تحت الأرض، لكن أن يعاد لهم وطنهم ومنازلهم، أن يعودوا ليسكنوا في تلك المنازل الدافئة التي اخذها الوحوش منهم، أن يعيد بناء كل قطعة تم هدمها، حضارتنا، اثارنا، احلامنا، جميعها هناك، عند كل لحظة أمان ستذكر هناك دماء ذهبت لتتقدم أنت خطوة بدون خوف، هذا هو الرمز المبارك الذي سيعيش عليه البلد.

سيأتي اليوم ليكون الحال في صورة أفضل، ويعم التطور ويعاد البناء مما تهدم، في كل زاوية وقفت فيها سأزورها وأنا بكامل الأمان الذي يسكن جسدي لا سيما قلبي الخائف، لكن ذلك الجزء المغلق سيبقى حراجة

ينزف الماً، من بيننا يستطيع أن ينسى فقيده القريب إلى قلبه في كل الأوقات السعيدة والحزينة يعيش في ذاكرته، اجتماعنا لالتقاط صورة سعيدة، لن تجعلني اقف دون أن ألتفت إلى الوراء وأرى والدي يقف وابتسامته تعلو على ثغره لي، زهراء وهي تنظر إلى قصتنا أصبحت رسالة الكون، الشهداء الذين علموا أني لن أنساهم دون أن أدونهم، فلكل شخص فيهم قصة كاملة، يعرفها عائلته واصدقائه نتمنى أن تدون كل القصص ليصل إليها الجميع وهم في قمة الحب والفخر.

الخاتمة:

أنا أعلم أن الأرض تحررت، وأن أبي لن يعود أعلم وعلى يقين أن يزن عندما يعود مع والدته سيجد منزله رمادًا مدفون، أعلم بكل ذلك لكنني لن أنساهم، حتى وأن وصلت إلى ما كان يتمناه لي أبي، وزهراء، وإيناس، وأمي، وصلاح، وما تمناه لي يزن الصغير مع والدته، وعمو قيس، إلا أنهم سيبقون في قلبي يهيمون في أعماقه لا أستطيع تقييدهم لكنهم أحرار، هناك في بقعة غيرنا، يحاول العيش والنجاة شخص حاوطه الغرق من كل جانب لكنه لا يغرق، تلك أفكاري وتساؤلاتي في أرض بعيدة عن موقعي هي من استطاعت أن تساعدني حتى لا أصل حد الجنون، أن تشغل عقلك بالحد الذي يحميك، قد يرانا شخص على أننا هزيمة والأخر يرانا انتصار، لكل شخص فينا حكاية لم يدونها ولم يستطيع أن يحرك قلمه، أعلم أن كل قطرات سقطت ستدون في كل مكان موجود، وغداً ستعاد كل الحكايات تروي لأخرين، سيزهر في كل بقعة منزل جديد ونوع نادر من الورود، لكن ما يخيفني، هل سيحاول أحد أن يغير تدوين التاريخ؟ كانت لحظة واحدة فقط، غيرت حياتي جميعها.

تمت

تنبيه

جميع أحداث هذه الرواية خيالية من أماكن وأشخاص وأسماء وأحلام خلقت من مخيلة الكاتبة لتسطرها في هيئة كلمات على الورق، مزجت بروحية واقعية..